قلوب عبير

602

٦٠٢

www.elromancia.com

مرمورية

عودة الحب الى قلبي

Nahas Publishing House

صادر عن دار م. النحاس

عودة الحب الى قلبي

منذ سبع سنوات كانت سينتيا حالمة ومغرمة.

الآن أصبح كل ذلك وراءها، وهي تنظم حفلات زفاف الآخرين بينما تبقى هي عزباء. لم تكن تتوقع ان تكون مهمتها الأخيرة رؤية ستيفان ثورنتون عريساً، الرجل الذي توقعت مرة ان تتزوجه! افترقا بمرارة وندم وسينتيا قررت ان لا تقع في حب رجل ابداً. ولكن بدا أنها تفعل ذلك تماماً، ومع الرجل نفسه!

www.elrmancia.com

لبنان: ٣٠٠٠ ل ل - سوريا: ١٠٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار - مصر ٧ جنيه

52-87000-34708-2

سألته متحدية «ماذا تفعل هنا، يا ستيفان؟»

لوى فمه، مظهراً الخطوط العميقة على خدية. قائلاً بازدراء: «بالتأكيد انت لا تعتقدين ان حديثنا قد انتهى؟» ناظراً إليها بإشفاق لسذاجتها.

أخذت نفساً متقطعاً: «أي حديث تعني، يا ستيفان؟» ورفعت حاجبيها متسائلة: «حديث هذا الصباح أم ذاك الذي كان منذ سبع سنوات؟»

الفصل الأول

قالت جيني متهكمة:«ألا تعتقدين ان هذا من لمسات السيدة شارلي؟»
قامت سينتيا بحركة خفيفة للموافقة على تلك الملاحظة مع ان انتباهها كان منصباً على المنظر الذي تشهده بدون تفكير.
لقد دعا الخادم المتعجرف سينتيا وجيني لدخول غرفة الاستقبال الصغيرة منذ ثوان قليلة، في حين ذهب للبحث عن ريبيكا هاركورت، سيدة المنزل الصغيرة.
تمنت سينتيا بشدة ان لا تكون السيدة الصغيرة في الحديقة. انها سيدة المنزل التي ذهب في أثرها ذلك الخادم المتعجرف، وإلا فإن رحلتهما هذه قد تكون قد ذهبت سدى، حيث ان الفتاتين ذهبتا الى العاصمة خصيصاً لرؤية عائلة هاركورت، وقد أخذتا بمظهر المنزل من الخارج بما فيه الكفاية.
فالأراضي المحيطة به كانت كبيرة وشاسعة بحيث أنها توازي حجم المنتزه الذي يقابلها. وعلى الرغم من ان المنازل الكبيرة القديمة كانت مألوفة في لندن، إلا أن مساحة الأراضي المحيطة بمنزل هاركورت جعلت سينتيا تتيقن من أن هذه الأراضي لها قيمة كبيرة لوجودها في قلب العاصمة.
في اعتقاد سينتيا ان حاجة آل هاركورت للبستاني،

هي بسبب مساحة هذه الأراضي الشاسعة. ويا له من بستاني.

رجل طويل القامة ذهبي الشعر، في الخامسة والعشرين من العمر، ذو بشرة نحاسية اكتسبها من كثرة تعرضه للشمس، وقد لوحته كثيرا مع أنه شهر نيسان (ابريل). ومع تقدم أشهر الصيف الحارة فإن بشرته معرضة للمزيد من السمرة.

بينما كان هذا البستاني يعمل في تلك الشجيرات المجاورة للبيت، دخلت جيني وسينتيا الى الغرفة وكان واضحا انهماكه في عمله وبدا أنه كان سيبقى كذلك لولا مرور فتاة شابة في العشرين من عمرها. مرت الفتاة في تلك الأراضي البرية التي تبعد بضع اقدام عنه لتدخل الى البيت. وما هي إلا بضع ثوان حتى وقف ذلك البستاني وتلفت حوله بانتباه ليتاكد من ان احدا لا يراقبه قبل ان يدخل الى ذلك البناء الخشبي.

لقد جاءت ملاحظة جيني المتهكمة في نفس تلك اللحظة التي دخل فيها البستاني في أثر الفتاة. وعلى ما يبدو فإن الفتاة التي عبرت الحديقة لم تنتبه لعمل البستاني هناك وهي لا تبدو كخادمة او أي فتاة اخرى تعمل في المنزل. فتسريحة شعرها الأحمر كانت مثبتة باحتراف، وزينة وجهها موضوعة باتقان، وزيها يحمل توقيع أحد مصممي الأزياء المشهورين، هذا إن لم تكن سينتيا مخطئة. لقد تمنت ألا تكون ريبيكا هاركوت، لأن سينتيا شكت في أن يكون هذا

البستاني هو العريس الذي تنوي ان ترتبط به ريبيكا.

قام جيرالد، والد ريبيكا هاركورت، بتدبير موعد قدوم سينتيا الى منزله اليوم، مدعيا ان ابنته بغياب والدتها تحتاج الى المساعدة في شأن تنظيم زفافها، حيث كان من المقرر ان يتم في شهر آب (أغسطس).

تنظيم حفلات الأعراس مع كل ما يصاحبها من مشاكل، كان مجال العمل الذي تقوم سينتيا بإدارته والذي يسمى (النعمة التامة).

خطرت لسينتيا فكرة هذا المشروع في أحد الأيام الكئيبة، حين وجدت نفسها قد علقت بمواجهة نهاية حياة مهنية أخرى، وقد عملت خلالها عند احد الممولين، الذي كان ذو مزاج مشاكس لا تحلو له المضايقات إلا وهم مستغرقون في العمل. مما جعل سينتيا لا تحبذ القيام به طوال أيام حياتها. فمشكلتها انها لم تكن تعلم ما تريد القيام به.

ففي السنوات الأخيرة عملت في مجالات عديدة، من موظفة استقبال في فندق الى مساعدة في مشتل زهور، ثم في محل للوازم الأفراح لمدة قصيرة من الزمن، بالإضافة الى اعمال الخدمة في المطاعم. ثم تدربت لتقوم بأعمال طباعة الاعلانات لأحد المسارح. وعرفت سينتيا يقينا انها لا تصلح للقيام بعمل كهذا، فبعد ان طبعت مئات الاعلانات داعية الناس فيها الى حفلات ترافالجار، استشاط مديرها غضبا من اسلوبها الفاشل، وفي اعتقادها ان بعض البحارة

ممن لبوا الدعوة لم يكونوا سعداء بالحضور. ومن الواضح ان التدريب استغرق فترة قصيرة من الوقت. هذا ما كانت عليه حال حياتها المهنية، ولكن بعد ان أمضت امسية كهذيان المرضى، تساعد مديرها في تقديم الأطعمة خلال احدى حفلات العشاء الخاصة في شقة احد وجهاء المجتمع، في تلك الليلة، قررت ان تحسم موقفها في ما يتعلق بتلك الوظيفة خصوصا، وبعملها في الشركة عموما، بعد ان بدأ مديرها يرمي السكاكين في أرجاء الشقة. عرفت سينتيا في ذاك الوقت ان مشكلة هذا الرجل ليست في طباعه الغريبة، بل في عقله!

وجدت سينتيا نفسها عاطلة عن العمل من جديد وكانت عليها ان تدفع ثمن الايجار والفواتير الى جانب التفكير في تمويل حياتها المهنية. واستعرضت كل الأعمال التي قامت بها بالتفاصيل فوجدتها اعمالا غير منسقة واعتباطية. ولكن عندما جمعتها كلها من جديد لاحت لها فكرة إنشاء وكالة (النعمة التامة) من بين الانقاض. وكالة الزفاف الكامل... وجدت لتمحو آثار التعب والدموع عن العروس وعائلتها... ولكن هل كانت تعني الدموع؟

لم يكن هذا النجاح في يوم وليلة، فبعد مضي ثلاث سنوات على إنشائها للوكالة، حافظت سينتيا على استمرارية العمل من خلال قيامها بتحضير مآدب العشاء في المناسبات. الى جانب اعداد بطاقات

الافراح،كي تلتزم بمهام اخرى كثيرة تكون غير مجدية. ففي الغالب كانت سينتيا في انتظار فرصة العمر كما تدعوها جيني، ذلك الفرح الذي يتكلم عنه المجتمع، وكم تمنت ان تغدو وكالتها معروفة حالما ترى المجتمعات المخملية كم ان عملها متقن.

بدا لها ان فرح آل هاركورت هو فرصة العمر التي لطالما تمنتها. جيرالد هاركورت، رجل في الاربعينات، كان احدالضيوف في عرس نظمته سينتيا خلال عطلة الاسبوع المنصرم. كانت العروس ابنة احد اصدقاء جيرالد في العمل، قامت بالتحضير لحفلة العرس مع تلبية متطلبات العروس، من طباعة بطاقات الدعوة الى تنسيق ألوان الزهور الرائعة في باقة العروس. هذه الباقة التي التقطها عندما رمتها العروس الى الحشد المتجمع وراءها قبل ان تمضي في رحلة شهر العسل التي اعدتها سينتيا للزوجين السعيدين.

قدم جيرالد باقة العروس لإحدى فتيات الشرف مرفقة بابتسامة ساحرة. وسأل سينتيا عن النعمة وكالة (النعمة التامة) موضحا لها ان ابنته الوحيدة سوف تتزوج لاحقاخلال هذا العام، وان زوجته توفيت منذ اكثر من اثنتي عشرة سنة، إلا أن ريبيكا، أي ابنته، تجد ان الأمر كله اشبه بوجع رأس تعاني منه وحدها.

غمرت السعادة سينتيا لطلبه هذا، بينما كانت تساعد في التنظيف. ووجدت نظراته الطويلة المتميزة، وشعره

www.elromancia.com

الداكن المتموج بخصلات رمادية، وعينيه الزرقاوين الدافئتين في وجه معافى وسيم الى جانب قوام مديد في بدلة من ثلاث قطع ارتداها خصيصاً للمناسبة، إنها أكثر من ان تسميها جاذبية عادية. انها فرصة العمر، فكرت سينتيا. وكانت من دواعي سرورها ان تأتي بنفسها من مكتبها الى منزله... فهي لم تكن تستطيع تحمل نفقات الايجار في لندن على حساب عملها، وحضورها الى منزل هاركورت، لتتكلم مع الابنة شخصيا بناء على موعد حضر له جيرالد حين تكلم مع ريبيكا عن الموضوع. ولكن ماذا لو كانت فتاة الحديقة هي ريبيكا هاركورت. وتولد لدى سينتيا احساس بأن هناك مفاجأة غير سارة في ما يتعلق بهذا الزواج. هذا من دون ذكر العريس وهو مثل أغلب العرسان، فقد بدا أنه باق بعيداً عن وجع الرأس بما فيه الكفاية، بشأن هذا الزفاف.

كانت سينتيا لا تزال واقفة تنظر في اتجاه الحديقة، حين فتح باب البناء الخشبي من جديد، ولكن بدا ظاهراً من حالتها المزرية انها كانت تبكي بغزارة. ألقت نظرة حزينة اخيرة في اتجاه البناء الخشبي وهرعت عبر الحديقة الى المنزل. ليست عروساً سعيدة! التفت سينتيا متنهدة وهي مقتنعة تماماً بأن زيارتها اليوم الى هذا المكان ذهبت سدى. وقطعت افكارها عندما رأت باب الغرفة يفتح ليدخل شخص. لم تكن ريبيكا هاركورت... بل كان جيرالد نفسه.

حياها بحرارة مرحباً بها، كان يرتدي احدى بدلاته الخاصة بالعمل ويبدو شديد الوسامة والكياسة. قال متأسفاً:«إنني شديد الأسف لتركك تنتظرين.» وعبر الغرفة في إتجاهها. وأضاف عابساً:«ولكننا نجد صعوبة في العثور على ريبيكا.»

لمست سينتيا ذراع جيني عندما أحست ان مساعدتها على وشك البوح بأمر ظهور ريبيكا في الحديقة، فريبيكا هاركورت لم تكن تريد ان يعلم والدها بأنها كانت في أي مكان من الحديقة. هذا ان لم تكن سينتيا مخطئة في تقديرها، الى جانب ان البستاني الشاب الوسيم هو ايضا لا يريد! قد تكون سينتيا على خطأ، طبعاً، لكن بطريقة ما شكت بالأمر.

ردت سينتيا بنعومة:«هذا حسن تماماً، فقد كنا نتأمل بيتك الرائع.» ولكن في الواقع لم تعر أمر المنزل كثيراً من الملاحظة. على الرغم من انها شاهدت الأناقة الكلاسيكية للغرف من مفروشات اثرية ولوحات عصرية معلقة على الجدران وزخارف تدل على الثراء الفاحش الذي كانت تعيره عائلة هاركورت الكثير من الاهتمام. هذا كله كان في غاية الجمال إلا أنه لم يكن يهم سينتيا في شيء.

بدا جيرالد مسروراً بملاحظتها متطلعاً الى ما حوله بتقدير. كان من الواضح انه رجل يتمتع بما تستطيع الثروة ان تقدم له. وبينما كانوا يتابعون حديثهم عن جمال المنزل ومحتوياته، قطع صوت رجل حديث جيرالد

www.elromancia.com

متسائلاً:«ألن تعرفنا يا جيرالد؟» كان الرجل ذو صوت حريري ناعم. صوت عرفته سينتيا على الفور.

لكن هذا مستحيل. ليس هنا. ولماذا هنا؟ تساءلت بفضول وهي تعلم أنها لا يمكن ان تكون مخطئة، إذ انها تستطيع معرفة ذلك الصوت في أي مكان. إنه صوت ستيفان ثورنتون.

لم تستطع الحراك مع أنها حاولت ولكن ما من عضلة واحدة في جسمها بدت أنها ستطيعها في هذه اللحظة. احست بأن قدميها مثل أثقال حديد غرست في السجادة. وجسدها ساكن ومشدود، وعرفت ان وجهها قد اصحب شاحباً، ورأسها مشدوداً بتوتر، وأن عينيها مسمرتان على نقطة ما فوق المدفأة. حاولت ان تتذكر ما الذي ترتدي اليوم. ماذا ترتدي؟ وما الفرق في ذلك؟

ستيفان ثورنتون كان يقف في مكان ما وراءها، وشكت بأنه سوف يكون سعيداً برؤيتها كما هي سعيدة برؤيته. هل تغيّر؟ هل تغيرت؟ لقد مضت سبع سنوات منذ ان رأته للمرة الأخيرة. بالطبع لقد تغيرت! فشعرها لم يعد ذلك الشلال الذهبي الموج باللون الفضي مثل القمر في الليل، كما كان وهي في العشرين من عمرها، ولكنه مقصوص الى حدود كتفيها بتسريحة متماوجة تجعله يبدو كثيفاً، فهكذا تستطيع ترتيبه بشكل أفضل. وعيناها البنفسجيتان لم تعودا بريئتين وغير مكترثتين. ولكن باقي قسماتها

بقيت كما هي بالطبع. أنفها الصغير والفم الكبير المبتسم، والوجنة المشدودة بحزم. ولا تزال تملك بعض الملابس التي امتلكتها منذ سبع سنوات خلت، إذ انها لم تستطع استبدالها وهكذا تستطيع التأكد من انها لم تكسب أي زيادة في الوزن.

قال جيرالد محييا الرجل الآخر:«سعيد انا الآن لأنك استطعت المجيء، فأنا نفسي قد اتيت من المكتب منذ برهة ومع أننا قررنا ان نلتقي هنا بعد كل ذلك، فان ريبيكا على ما يبدو قد قامت بإحدى اختفاءاتها تلك من جديد.»

قاطعه الرجل الآخر بنعومة:«سوف تظهر، هكذا تفعل دائما.»

آه، يا للهول، ذلك الصوت، احست بقشعريرة في جسمها وبموجات من الرعب تجتاحها. آخر مرة رأت فيها ستيفان ثورنتون اوضح له تماما ماذا تفكر فيه ولم يكن هناك من سبب واحد لها للتيقن من ان السنوات الماضية التي مرت من دون أي اتصال بينهما، قادرة على تغيير مشاعره تجاهها.

هل يعقل ان يحدث لها هذا؟ طبعاً، فستيفان يدير صناعات آل ثورنتون، وجيرالد هاركورت يدير شركته الخاصة بنجاح كبير، فلِمَ لا يكون هذان الرجلان صديقين؟ ولكن، لِمَ كان علَى هذين الرجلين ان يتقابلا هنا اليوم، وفي هذا المكان بالذات؟ لاحظت سينتيا ان جيني تنتظر عند الباب، فما زال ستيفان يتمتع بتلك

www.elromancia.com

الجاذبية البدائية التي تجذب النساء إليه، والتي رأتها سينتيا مكرهة. انه ذلك الأمر الذي تحققت منه سينتيا والذي كان السبب في تحطيمها، والأدهى أنه كان يعرف كيف يستفيد منه.

ادارت سينتيا بحزم وجهها، وقد علقت انفاسها بحنجرتها، إلتقت وستيفان للمرة الأولى بعد سبع سنوات. لم يتغير البتة، فشعره الأشقر الداكن طويل لدرجة انه لا يتناسب مع الموضة السائدة. وبعض الخصلات الناعمة تغطي جبينه. عيناه العسليتان محاطتان بأطول أهداب رأتها سينتيا في حياتها. وأنفه الكبير الشامخ ولكن فمه تغير ولم يعد كما كان – لاحظت ذلك مقطبة جبينها في الماضي كان فمه جذاباً، أما الآن فلا.

لقد اصبحت تعابير وجهه تنم عن الحزن، وبدا أنه قليلاً ما يبتسم، والخطوط بجانب فمه لم تكن بسبب الابتسام، بل من القسوة التي حددت كل قسمات وجهه. وعندما حدقت سينتيا فيه جيداً، ادركت ان عينيه لم تعودا دافئتين بتاتاً، ولكنهما قاسيتان وغير مكترثتين.

بدت عيناه قاسيتين اكثر عندما احس بنظرات سينتيا المنصبة عليه، وللحظة بدا على ملامحه انه تعرف عليها على الفور. رق فمه اكثر وأطبق فكيه بقوة وتوجهت نظرات عينيه الفولاذية نحوها بتحد. كان في الماضي انساناً مجبولاً بالرقة والحنان، ونعومة ملامحه كانت

تجعل من الصعب على أي كان تحديد عمره... أما اليوم فهو يبدو في الخامسة والثلاثين بدون ادنى شك وعلى أقل تقدير.

ازدردت سينتيا ريقها بصعوبة ولم تشعر في حياتها بالرغبة في الفرار كما تشعر الآن. وشعرت للحظة ان ستيفان قد يقتلها بالفعل.

تساءل ستيفان مسيطراً على اعصابه عندما استدار ليواجه الرجل الآخر، منتظراً ان يعرفه الى الضيفين. «جيرالد؟» وكأنه لا يعرفها إطلاقاً! رفضت ان تصدق أنه قد نسيها. لا بد انه تمنى ذلك ولكنها عرفت من رد فعله للحظة خلت، عندما نظر إليها للوهلة الأولى بأنه لم يستطع نسيانها.

قال الرجل الأكبر سناً مبتسماً ببساطة، غير واع مطلقاً للتوتر السائد في الغرفة: «أسف ستيفان.» أضاف بخفة: «هذه سينتيا سميث من وكالة النعمة التامة، ولكن اصحابها يدعونها سين كما أكدت لي.»

بدا ان ستيفان لا يجد أي روح دعابة باسمها او حتى بشخصها! ولكن نظرته المستفسرة التي القاها نحو الرجل الآخر، بدت متسائلة عن مدى قرب جيرالد منها باعتباره احد اصدقائها.

لقد كان سؤالاً مثيراً، فمع دعوته لها للحضور الى هنا عندما تحادثا يوم السبت الفائت، قام جيرالد بدعوتها للعشاء خارجاً ايضاً.

رحبت بالموضوع الأول إلا ان الموضوع الثاني ارتاث

تأجيله لحين قدومها الى منزله. ولكن، لم يخطر على بالها اطلاقا ان ستيفان ثورنتون سيكون حاضرا عندما يطرح ذلك الموضوع الثاني. ففي الحقيقة، كانت تستبعد دائما وبشدة أي لقاء مع ستيفان مجددا. وعرفت الحاضرين على مساعدتها مشددة على الأمر:«انها مساعدتي جيني هاريسون.»

بدت جيني ممتنة لسينتيا لتعريفها لهما. فمع كل الانتباه الذي أعاره ستيفان الى سينتيا، إلا أنها حفظت رباطة جأشها، حتى ان جيرالد بأدبه الساحر رحب بجيني.

لم يكن شعر الفتاة يضاهي شعر ريبيكا هاركورت النحاسي، بل كان ذا لون خمري يتناسب مع بشرتها الشاحبة. مسكينة جيني تبدو أصغر بكثير من سنوات عمرها الثماني عشرة لأنها كانت مسرورة لوجودها برفقة هذين الشخصين المميزين. وستيفان ثورنتون ليس رجلا مهذبا، فكرت سينتيا بخفة. فقد تعمد اهمال جيني ونظر إليها بقسوة وفظاظة. ومن الواضح ان جيني كانت تشعر برهبة من هذا الرجل الذي كان يبدو قاسيا ومتوحشا. إلا أنها انجذبت إليه. هذا الى جانب أنها كانت تبدو مهتمة به من دون ريب.

أجاب ستيفان بنعومة:«أنسة سميث؟» تورد وجه سينتيا خجلا من تلميحه. طبعا، ففي آخر مرة التقيا فيها كانت على وشك الزواج من روجرز كولنز. اجابت بخفة ملتقية بنظراته ولكن هذه المرة بشيء

من التماسك:«إنني غالباً ما اكون فتاة شرف وليس العروس على الاطلاق، كما يبدو.»

لماذا يتابع ستيفان التصرف وكأنهما لم يلتقيا من قبل؟ ولماذا لم يخبر جيرالد هاركورت أنه يعرف تماما ماذا يسميها اصحابها وحتى اعداؤها ايضا؟

وان كان قد اندهش لعلمه بأنها لم تتزوج بعد كل هذا، إلا أنه لم يظهر ادنى إشارة الى ذلك.

قال متحديا بنبرة خالية من التهذيب:«ولكن اغفري سؤالي. إذا كانت هذه هي الحالة... فما هي الخبرة التي تدعين معرفتها، وكيف تخولك تنظيم حفلات الآخرين، خصوصا كحفلة زفاف ريبيكا؟»

كان يقصد اهانتها وقد حقق مبتغاه! فهو يعرف انها تنتمي للطبقة العاملة وتكره المجتمعات المخملية الى حد بعيد، وكان يحاول ان يعيرها بفقرها. قاطعة جيرالد برقة غير منتبه لخلفيات الحوار الدائر بين سينتيا وستيفان:«دعك من هذا يا ستيفان، ليس من الضروري، ان تدهسك عربة لتعرف عاقبة ذلك. ففي رأيي لا يوجد فرق كبير بين ان تدهس أو تتزوج.»

قال ذلك بحزن ظاهر حيث ان الجميع نظر ناحيته بسبب طريقته في التشبيه. هزت سينتيا رأسها قائلة:«أمل ألا تتاح لك فرصة الكلام مع احدى زبوناتي وإلا فسوف أخسر مهنتي.»

قال جيرالد مقطبا:«لنعد الى العمل.» وأضاف وهو يغادر الغرفة:«سوف اذهب للبحث عنها من جديد.»

www.elromancia.com

لم تكن سينتيا اكثر امتناناً في حياتها من جيني لاصرارها على مرافقتها ذلك الصباح كما كانت في تلك اللحظة، وإلا لكانت بقيت بمفردها مع ستيفان في الغرفة.

آوه، لا. هذه مبالغة. فمن غير الظاهر ان ستيفان قد احتاج لاستعمال قوته الجسدية طوال حياته. فما من شك أنه يستطيع بلسانه السليط ان يدمر كل من تسوله نفسه ان يتحداه، وتحويل أي معترض الى مرتعد بنظرة من نظراته الباردة.

ساد سكون مطبق في الغرفة بعد ان تركها جيرالد و... هل كان هذا ما رأته سينتيا وحدها؟ وجازفت بنظرة ناحية ستيفان الذي بقي واقفا يراقبها تارة بنظرات باردة حادة ويشيح طورا بعينيه عنها. جيني الطيبة. كانت تنظر الى ستيفان بعينين متأثرتين.

شعرت ستيفان بالأسى تجاه جيني بسبب تجاهل ستيفان لاعجابها به، مع انه لاحظ ذلك فجيني قليلة الخبرة ولا بد ان عواطفها تجاهه ظاهرة بما يكفي لكي يلاحظ وجودها. وما من شك في أنه معتاد على اعتبار نفسه جذاباً من قبل النساء. ولكن ما من سبب يجعله متلاعباً إلى هذا الحد.

لم تتعود رؤيته مرتديا ثياباً رسمية كاملة كما هو اليوم. فبدلته ذات الثلاث قطع وقميصه الأبيض الناصع، مخاطان بدقة متناهية. وربطة عنقه معقودة بشدة حول عنقه. ولا يضع أي مجوهرات. فلطالما رفض ان

يستعملها الرجل وأفضل حلية عنده هي ساعة تلف معصمه الأيسر.

لاحظت سينتيا بإعجاب ان يديه ما زالتا كما كانتا، يدي فنان ملهم، ومع ذلك قويتان تماما عند الحاجة. والأظافر مقلمة بدقة.

ستيفان جيمس ثورنتون. كانت تتوقع ان تسمع اكثر عنه خلال السنوات السبع المنصرمة. ولكن الشيء الوحيد الذي سمعته هو ارتباط اسمه بصناعات آل ثورنتون. فصفحة المال والاقتصاد في الصحف غالبا ما تورد مقالات عن نجاح وتوسيع الشركة. لا بد ان اعمال العائلة قد ازدهرت تحت رعايته، يا للغرابة! فهي لم تفكر بستيفان كرجل اعمال، ولكن هذا ما لم يكن عليه قبل سبع سنوات.

قال متشدقا بتحد:«إذا، سينتيا، أليس كذلك؟ سوف تقومين بعملك جيداً وتجعلين عرس ريبيكا كاملا.»

احست باحمرار وجنتيها من الإهانة التي يقصدها من وراء تلميحه هذا. قالت بحزم:«اجل، اتمنى ذلك.»

تقدم بخطوات واسعة نحوها وقال:«فستان أبيض واسع، كعكة تزينها الكريما، حصان وعربة لنقل العروس والعريس الى حفلة الزفاف؟»

شحبت سينتيا عندما استعمل كلماته كشفرات حادة بقصد جرحها، لم ينس شيئا! وأخذت نفسا متقطعا ثم قاطعته بحدة بينما اصابعها مطبقة الى درجة انها احست بأن اظافرها قد انغرست في لحمها:«ولكن

تنظيم هذا الأمر في لندن على شيء من الصعوبة.»
رد ستيفان بصوت اجش:«انا متأكد من أنه من الممكن تدبر الأمر إذا كان هذا ما ترغب به العروس.»
ازدردت سينتيا ريقها بصعوبة، مشيحة بنظرها عن الوجه البارد الذي لا يرحم، وقالت تسأل جيني:«يبدو اني نسيت ان احضر دفتر ملاحظاتي، هل تستطيعين ان تذهبي الى العربة في الخارج وتحضريه لي؟»
لكن هذه المشادة مع ستيفان التي لم يلحظها أحد على ما يبدو، لا يمكن لها ان تستمر. ومع أنها كرهت هذه الفكرة، ولكنه إذا كان صديقا حميما للأسرة وزائرا دائما للمنزل، فربما من الأفضل لها الانسحاب بدلا من التورط في هذا الزفاف. فهي تستطيع توفير الكثير من العناء على نفسها اذا اقتنعت بهذه الحقيقة الآن.
وافقتها جيني على الفور موجهة نظرة مشوقة نحو ستيفان عندما مرت بجواره لتخرج من الباب.
قال ستيفان بازدراء متزايد ما ان اصبحا وحيدين:«حسنا، يا سينتيا.» اضاف ونظراته القوية تتفحصانها قاصدة إهانتها:«كم من الوقت مضى وانت برفقة جيرالد؟»
تنهدت تنهيدة عميقة مبدية سخطها للملاحظة وقالت:«أنا...»
أضاف ستيفان بقصد ايلامها:«فقد ترك صديقته الأخيرة منذ بضعة اسابيع.»
همست سينتيا رافضة اتهامه وأحست باحمرار

وجنتيها ولكن من الغضب هذه المرة، قالت:«انا لست صديقته.» وتساءلت في قرارة نفسها هل سيبقى الاحمرار علامة على خديها كلما تكلمت مع هذا الرجل الكريه. «لقد تقابلنا للمرة الأولى يوم السبت الفائت.»
لوى ستيفان فمه مستهزئاً فبدت الخطوط على وجهه محفورة بعمق وأضاف بتجهم:«لا. فمن الممكن انك لم تصبحي صديقته بعد، اصبري بضعة اسابيع! ولكن لا توهمي نفسك بأي امنيات رائعة للإرتباط به جديا، لقد سمعت رأي جيرالد بمسألة الزواج.»
اطلقت تنهيدة متثاقلة وهزت رأسها رافضة:«إني لا أعلق أي آمال زائفة او آمالا من أي نوع آخر حتما، في ما يتعلق بجيرالد، فأنا بالكاد اعرفه.»
رد ستيفان بكلام جارح وعيناه مقوستان متأملاً فيها:«من الواضح ان جيرالد عنده بعض المشاريع في رأسه لكل منكما، تتعدى أمر الزفاف.»
اخذت سينتيا بعين الاعتبار الدعوة الأولى للعشاء التي تلقتها من جيرالد، بدا لها ستيفان احمق لا محالة. ولكن حتى إذاكان كذلك، فانه أمر لا يعنيه إذا ما قررت هي وجيرالد المضي قدماً في علاقتهما. وكونه صديقا لجيرالد لا يعطيه أي حق بالتدخل.
قال ستيفان برقة:«هذا ما لن يحدث ابدا، صدقيني.» فيمانظراته الثابتة تقرأ أفكارها.
كانت سينتيا قصيرة القامة، مع حذائها الذي تنتعله

Mobelromantica.com

الخالي من الكعب، مرتدية سروالاً أسود اللون مع سترة تناسبه وقميص بنفسجية اللون، مما جعلها تبدو نحيلة، ورقيقة. احست بأنه يحاول ان يربكها. حسنا لن ينجح في ذلك. اخبرته وعيناها تلمعان:«علاقتي بجيرالد لا تعنيك.»

اكد لها محذراً برقة:«سوف اجعلها كذلك، يا سينتيا.»

عبست بوجهه والمرارة تملأ وجهها الناعم. قالت:«هذا ليس من حقك، يا ستيفان.»

اجاب بقوة:«انا املك كل الحق. تباً لك!» ثم تابع وعيناه تلتمعان ببريق ذهبي عميق بينما كان يتقدم ناحيتها مهدداً:«انت...»

قالت جيني بأنفاس متقطعة وهي تدخل الى الغرفة في تلك اللحظة:«لم استطع إيجاده، يا سينتيا.» اضافت ووجهها يتصبب عرقاً:«لقد بحثت في مقدمة السيارة وفي مؤخرتها.»

اخبرتها سينتيا:«لقد وجدت دفتر الملاحظات يا جيني.» معترفة بذنبها مدركة أنها قد أضاعت وقت جيني كما أضاعت وقتها هي ايضاً لمحاولة التكلم مع ستيفان على انفراد في ظل ظروف كهذه، فالاختلافات بينها وبين ستيفان كانت عميقة لدرجة أنه لا يمكن الإحاطة بها كلها خلال بضع دقائق من التحدث إليه على انفراد. وأضافت:«لقد اكتشفت انه في حقيبتي، بعد ان تركت الغرفة على الفور. ولكن عندما عرفت هذا

لم استطع اللحاق بك لإخبارك.» وابتسمت معتذرة للفتاة الاخرى:«إنني آسفة.» الا ان جيني لم تكن تنظر إليها، فقد كانت عيناها منتجذبتين ناحية ستيفان.

أدارت سينتيا رأسها بامتنان ناحية الباب عندما فتح ليدخل جيرالد، وتلحق به ريبيكا التائهة.

تحول ارتياح سينتيا الى انزعاج عندما اكتشفت ان ريبيكا هي فتاة الحديقة. كل علامات البكاء الحديثة العهد أزالتها بواسطة الزينة المتقنة. ريبيكا هاركورت، قد تبدو جميلة من دون كل هذا الطلاء. فبشرتها مشدودة وقسماتها ناعمة ونضرة. وان كان هناك من ملامح حزن عميق في عينيها الزرقاوين، فإن سينتيا هي الوحيدة التي أحست به.

قالت ريبيكا بصوت مبحوح خافتاً من البكاء:«إنني جداً آسفة إذ تركتك تنتظرني.» او هكذا بدا؟ لم تكن سينتيا متأكدة.

اجابت بارتباك:«لم أعلم انك هنا.» ولكن سينتيا ارتبكت، فالملاحظة لم تكن موجهة إليها، فريبيكا كانت تنظر الى ستيفان حين كانت تعبر الغرفة لتصل الى جانبه.

«مرحباً عزيزي.» رفعت ريبيكا جسدها لتصل الى وجه ستيفان حيث طبعت قبلة خفيفة على وجنته. ثم تابعت:«إنني ممتنة لأنك استطعت المجيء من المكتب، وهكذا يمكن لكلينا ان يتكلم مع الآنسة سميث عن ترتيبات الزفاف.»

www.elromancia.com

ادارت رأسها نحو سينتيا مرحبة بها بابتسامة.
حدقت سينتيا بها. فهي لن تستطيع الرد حتى لو حاولت. وستيفان هو عريس ريبيكا...!
قال جيرالد متأسفا:«اتعرفين يا سينتيا، لقد اكتشفت فجأة عندما ذهبت ابحث عن ريبيكا أنني لم اعرفك على ستيفان.» وعصر يدها معتذراً لعدم لياقته:«هذا ستيفان ثورنتون، خطيب ابنتي.»
كان ستيفان العريس!

الفصل الثاني

تنهدت جيني التي كانت تجلس الى جانب سينتيا في طريق العودة الى المكتب بعد ان انتهيا من زيارة آل هاركورت وقالت:«بعض الناس لديهم كل الحظ.»
تساءلت سينتيا بشرود:« ماذا؟» فهي ما تزال ترتعد الى درجة لا تستطيع معها ان تخمن الى ماذا ترمي جيني. فقد أمضت حوالي الساعة مع العروسين السعيدين تحاول أن تتفق معهما على تحضيرات زفافهما الذي سيجري في شهر آب ـ اغسطس. وقد حاول ستيفان ان يبدو موضوعياً من غيره ان يثير أي محاولة للاحتكاك بها.
تنفست جيني نفساً عميقاً آخر، وقالت:«ريبيكا ثورنتون، ليس من العدل ان يكون لها والد رائع وعريس جذاب تتهافت النساء عليه.»
لم تستطع سينتيا ان تمنع الابتسامة الخفيفة من الظهور على فمها. قائلة بحسرة:«انا لا اعتبر أنه من المهم ان يكون الأب وسيما.»
اجابت جيني برضى:«ربما لا.» ولكنها تابعت بحسرة:«ولكن ستيفان شيء آخر.»
قالت سينتيا:«انه شيء آخر...» مع علمها بحقيقة ستيفان إلا انها لم ترد ان تخبر جيني بشيء.
تساءلت جيني مفكرة:«ولكنني اتساءل أين هو موقع

www.elromancia.com

البستاني من كل ذلك.» لم تستطيعا بالتأكيد تخيل مدى أهمية العلاقة بين ريبيكا والبستاني الشاب. وحتى من جهة ريبيكا على الأقل. فدخول جيرالد هاركورت الى غرفة الجلوس، حول انتباههما من الحديقة الى المنزل. ولم تريا البستاني يخرج من الكوخ. ولكن ما شاهدتاه في البداية، كان كافيا لتعرفا ان البستاني له دور في الموضوع.

لو كان أي إنسان آخر هو العريس، لما ترددت سينتيا للحظة، ولكن لا دخل لها في اختيار العروس. كل ما يهمها هو ان تبدو العروس متأنقة يوم زفافها وتمضي أمور الزفاف على ما يرام. ولكن ستيفان هو العريس!

لم تستطع ان تصدق ذلك! ريبيكا كانت شابة صغيرة في العشرين من عمرها، وستيفان في الخامسة والثلاثين من العمر. رجل ناضج، وله خبرة في الحياة. ولكن لماذا يتزوج فتاة صغيرة تكاد تكون من عمر ابنته؟ والأغرب من هذا ان ريبيكا تقيم علاقة مع البستاني في منزل والدها! لم تشك سينتيا للحظة في ان ستيفان سوف يثور بشدة إذا ما اكتشف هذا الأمر. ولم يكن في نية سينتيا ان تطلع ستيفان على الأمر. ولكن ماذا إذا أخبرته ريبيكا بنفسها؟...

لقد راقبت سينتيا الخطيبين. وبدا أنه لا بأس بهما كعاشقين. فقد كان ستيفان يعامل ريبيكا بنفس الطريقة التي يعاملها بها والدها. وكانت تسأل ستيفان

عن كل شيء حتى من أين تشتري فستان الزفاف! لو كانت سينتيا مكانها لما استشارته.

رأت سينتيا ان زواج ستيفان وريبيكا هو في ورطة منذ الآن. انها حقا فكرة محبطة عن زواج لم يبدأ بعد. فعلى كل حال كانت زيارة سينتيا لمنزل آل هاركورت من أصعب الأوقات التي مرت بها في حياتها. حيث أنها قلقت من فكرة أن ستيفان قد يخطر له ان يطلع الآخرين على علاقته الماضية بسينتيا. وما من شك في أنها ستحرج، لأنهما تصرفا كغريبين في البداية. ولا بد ان الأمر سيحرجه ايضا. ولكن بما انها تعرفه حق المعرفة، فستيفان لا يأبه لما يفكر الناس به وهذا ليس في صالحها. ومضي الوقت في ذلك المنزل زاد من توتر سينتيا، إذ أن ستيفان لم يقل شيئا. خصوصا أنه أخذ يسترضي أكثر كلما لاحظ توتر سينتيا. بدا مستمتعا بقلقها ولم يبعد نظراته عن وجهها البارد.

عندما همت سينتيا وجيني بالإنصراف، لاحظت سينتيا من تعابير وجه ستيفان ان هذا لن يكون لقاءهما الأخير، فهي على ثقة من أنها سترى ستيفان لاحقا لا محالة.

قالت جيني:«ربما لا دخل له على الاطلاق.» وعندما لاحظت عدم استجابة سينتيا للحوار اضافت:«وعلى كل، ما من امرأة في كامل عقلها تنظر حتى مجرد نظرة الى رجل آخر عندما تكون على وشك الزواج من ستيفان ثورنتون.»

جفلت سينتيا مرتعبة، أي امرأة، بالتأكيد! ولكن كم كانت جيني ساذجة. فهي لا تستطيع ان تدرك بعد، ان اختيار شريك الحياة يتطلب أكثر من الوسامة. ولكن السؤال هو: هل أدركت ريبيكا هذا الأمر، خصوصا وأنها اصبحت على وشك الزواج؟

ابعدت سينتيا عن تفكيرها زواج هاركورت - ثورنتون حالما وصلت الى المكتب. فلقد كان لديها عمل يجب ان تنجزه وما كانت لتستطيع ذلك وستيفان في تفكيرها. امضت سبع سنوات من دون ان تفكر في حتى في الاوقات الصعبة. كانت تنجح في ابقائه بعيدا عن تفكيرها. ولا يحق له الآن ان يقتحم حياتها وهي على مرمى حجر من تحقيق حلم النجاح الباهر. ولكن لسوء الحظ ان يكون زفاف ستيفان وريبيكا هو نقطة التحول في حياتها.

امسكت بسماعة الهاتف عندما رن جرسه لحظة دخولها الى المكتب وتوترت فور معرفتها المتكلمة، لقد عرفت عن نفسها قائلة:«ريبيكا هاركورت.»

تساءلت سينتيا بتحفظ:«بماذا استطيع ان اخدمك آنسة هاركورت؟» مع انها تعودت ربط أواصر الصداقة مع كل العرائس اللواتي تعاملت معهن. ومن خلال تجاربها عرفت سينتيا انه من الافضل لكل منهما ومن الأسهل ان كانتا مستعدتين للكلام بصراحة.

طلبت منها الفتاة متوسلة:«سينتيا ارجوك ما تستطيعينه لي هو...»

«نعم؟» اجابت سينتيا حين لاحظت ارتباك الفتاة وأضافت بخفة:«إذا كنت لا ترغبين بالتعامل مع وكالتي بعد كل هذا، أفلا تشعرين بأنني قد أهان.» فإذا كان الامر كذلك، سوف تشعر بارتياح إذا وجدت نفسها خارج الموضوع. «ربما وضعك والدك في موقف حرج.»

ترددت ريبيكا محاولة ان تؤكد لها امراً:«ليس الأمر كذلك. فأنا متأكدة من ان مساعدتك لي ستكون قيمة جداً.» وتحشرج صوت ريبيكا ولم تستطع ان تكمل.

رجتها سينتيا ثانية:«نعم؟» ولكن بلطافة أكثر هذه المرة شاعرة بقلق الفتاة. وكان لدى سينتيا شعور بأن للأمر علاقة بالبستاني خصوصا بعد ان قابلته ريبيكا في الكوخ الخشبي، وهذا الأمر مهم.

قالت ريبيكا وكأنها وجدت الكلمات المناسبة:«الأمور تجري بسرعة، انا متأكدة من أنني لست أول عروس تجدينها متوترة قبل الزفاف. إنني اريدك ان تتمهلي بترتيبات الزفاف. فلا يوجد داع للعجلة.»

ذكرتها سينتيا بهدوء:«موعد الزفاف بعد اربعة أشهر فقط.» تابعت سينتيا مشفقة عليها:«ما رأيك لو التقينا نحن الاثنتان على انفراد وتحادثنا؟»

فكما قالت ريبيكا، اعتادت سينتيا على مفاجآت اللحظة الأخيرة ولكن أربعة أشهر لا تعتبر آخر لحظة. الى جانب ذلك، تملكها شعور بأن في الأمر خطورة أكبر مما يبدو.

www.elromancia.com

اجابت ريبيكا بامتنان:«آه، نعم، سيكون ذلك رائعاً عندها استطيع ان اشرح لك.»

شككت سينتيا بذلك. فلقد تملكها شعور بأن ريبيكا تحاول ان تنكر الحقيقة حتى عن نفسها.

«ما رأيك لو آتي الى منزلك غداً ونستطيع أن...»

قاطعتها ريبيكا بحدة:«كلا، ليس هنا. ما أقصده هو...» حاولت ريبيكا إن تتكلم بشكل طبيعي:«لم لا نتناول طعام الغداء معاً في مكان ما؟ فهذا على الأقل يجعل اللقاء مريحاً؟»

تكهنت سينتيا، انه كلما كان مكان اللقاء بعيداً عن والدها كان أفضل. قبلت سينتيا:«هذا جيد بالنسبة لي، وماذا عن...»

قطعت كلامها عندما فتح باب مكتبها من دون إنذار، وحملقت بستيفان بينما كان يقف بغطرسة عند الباب. وشدت بقبضة يدها بعفوية على سماعة الهاتف، وفاض الدم من وجهها وجف حلقها. لِمَ لم تستطع السيطرة على نفسها؟ لقد عرفت سابقاً ان ستيفان لن يقبل بوداعة عودتها إلى الظهور في حياته أيا كانت الظروف.

فبعد غياب سبع سنوات لا بد وأن يظهر عدم رضاه. لهذا بقي هادئاً عندما كانا معاً في منزل آل هاركورت. وداعة؟ ستيفان لم يقبل أي امر بوداعة طوال حياته. وشعرت سينتيا ان ريبيكا لا تريد ان يعرف ستيفان عن مكالمتها الهاتفية. وبما ان الخط لم يقطع بعد

بين الفتاتين، ولم يكن في نية سينتيا ان تطلع ريبيكا على وصول ستيفان الى مكتبها، ومن دون ان يعرف ستيفان مع من تتكلم، لم تعرف سينتيا ماذا عليها ان تفعل حينئذ! شاهدت ستيفان يتقدم داخل المكتب بعد ان أغلق الباب بإحكام، ووقف أمامها بتعجرف، بينما كان ينتظر ان تنتهي المكالمة بأسرع وقت.

اجابت سينتيا قائلة:«يبدو ان الغداء فكرة جيدة.» وأضافت بخفة بينما لاحظت التوتر في صوتها:«ربما تستطيعين ان تحددي إسم مطعم يكون مناسباً لكلينا؟»

راقبت ستيفان وهو يتجول في أنحاء المكتب، وبين الحين والحين يتلقط بعض الاشياء يتفحصها ويعيدها الى مكانها من دون اهتمام. فلقد كان في مكتبها بعد كتب الزفاف، وبطاقات الافراح، وجدران مكتبها مزينة بورق الحائط بلوني الزهر والكريم التي ألصقتها سينتيا بنفسها، إذ لم تستطع ان تدفع تكاليف خبير في هذه الأمور. فلقد دفعت أجرة المكتب لسنة كاملة! أظهر وجه ستيفان المتعجرف درايته بأمر فرش المكتب، ورفع حاجبيه متعجباً، فسينتيا كانت لا تزال تمسك بسماعة الهاتف.

ارادت سينتيا بامتنان ان تنهي المكالمة، لو ان ريبيكا تقول فقط إسم المطعم. فهي تريد ان تنهي هذه المقابلة مع ستيفان بسرعة. وبعد ذلك مقابلتها مع ريبيكا التي أحست انها ستذهب سدى هي ايضاً، بالتأكيد

وستيفان لا يريدها ان تتدخل بأمر زواجه من ريبيكا.
من حسن الحظ ان جيني ذهبت لتناول الغداء بعد عودتهما، إذ أنها ستشتغل بالفضول لرؤيتها وستيفان في المكتب بعد ان قابلتاه لتوهما في منزل خطيبته.
فلم يكن في نية سينتيا ان تقول للفتاة ان ستيفان أراد محادثتها بأمر ما ولكن بعيداً عن أعين الرقباء.
اجابت ريبيكا اخيراً:«ماذا عن الريتز؟» كان من المحتمل ان ترفض سينتيا، وبما أنه غداء عمل، فهي لا تستطيع ان تضيع وقتها، وحتى إذا ما رفضت قد تخاطر بالكشف عن هوية ريبيكا.
«عظيم.» وافقت سينتيا وحددت موعد اللقاء عن الساعة الثانية عشرة والنصف وأعادت السماعة الى مكانها. التفتت ناحية ستيفان الذي كان يتفحص جدول أعمالها للأسابيع القادمة.
التفت ناحيتها فجأة وأخذت نظراته الثاقبة تحدق فيها بإمعان، وأحست سينتيا، بخصلات شعرها الفضية تتطاير فوق كتفيها، وبدا لون شعرها الزاهي فاتحاً أكثر على قميصها، كانت شفتاها من دون أحمر شفاه، فقد شربت للتو فنجان قهوة اعدته لنفسها.
لم تكن هذه الطريقة التي إرادت بها رؤية ستيفان وما كانت تتوقع رؤيته سريعاً هكذا. ولكن كان عليها ان تعلم ان ستيفان يفعل دائماً غير المتوقع. والتقت نظراتها بنظراته الباردة.
فتحدته متسائلة:«ماذا تفعل هنا يا ستيفان؟» من

حسن حظها ان صوتها لا يظهر كم كانت متضايقة ومتوترة من وجوده. فهما وحدهما تماماً هنا. ولم يكن أمام سينتيا ثمة خيار آخر.
لوى فمه مبدياً خطوط وجهه وقال متشدقاً بسخرية:«بالتأكيد انت لا تعتقدين ان حديثنا قد انتهى؟» واولاها نظرة ملؤها الشفقة على سذاجتها.
تنفست نفساً متقطعاً وقالت:«وأي حديث هذا الذي تقصده؟» ثم قوست حاجبيها متسائلة:« الذي جرى هذا الصباح أم الذي كان منذ سبع سنوات؟»
اخرج الكلمات من بين شفتيه بقسوة:« الإثنان مترابطان بالتأكيد؟» وحاول ان يسيطر على اعصابه بقوة كي لا يستعمل قوته الجسدية ويسحبها عن كرسيها ويوقفها على قدميها بقوة ويهزها الى ان تصطك أسنانها.
أرغمت سينتيا نفسها على البقاء جالسة، في حين كانت تريد حقيقة ان تقفز عن الكرسي وتجري الى ان تتأكد من ان هذا الرجل لن يمسك بها. ولكن من تجربتها السابقة معه عرفت أنه عندما يريد الإمساك بأحد فإنه لا بد سيفعل.
هكذا بدلاً من الهرب أظهرت حركة لا مبالية من رأسها قائلة:«أنا لم أفهم ما تعنيه.» وكانت اصابعها تطبق بإحكام على القلم الذي كانت تستعمله حين اتصلت بها ريبيكا.
قطب ستيفان وجهه فيما عيناه تتأملان وجهها الشاحب وقال:«هل كان هذا جيرالد على الهاتف الآن، يهيىء لموعد غداء معك غداً؟»

www.elromancia.com

لم تتوقع ان يغير الموضوع كله حتى أنها للحظة اختل توازنها من التحول المفاجيء. ولكن علامات الارتياح ظهرت على وجهها. قالت له:«إذا كان هو أو لم يكن، فلا علاقة لك بهذا يا ستيفان!» قالت ذلك وهي تقف وهذا لم يكن في صالحها فهو أطول منها بقدم ولكنها اصبحت تستطيع التحرك إذا ما استدعى الأمر الهرب. وأضافت مندفعة:«استطيع تناول الغداء مع من أرغب.» ايقنت أنه لم يتخيل ولو للحظة ان ترتيب موعد الغداء هو مع ريبيكا هاركورت ولم يكن في نيتها ان تطلعه على الأمر.

وضع ستيفان يده بسرعة حول خصرها، ولكن لا. فهي لم تفكر بستيفان هكذا منذ سبع سنوات ولم تسمح لنفسها بهذه السعادة، ولن تفعل ذلك الآن، وهو على وشك الزواج من امرأة اخرى، فهو الجنون المطبق! نهرته بقوة:«دعني يا ستيفان.» من دون ان تستطيع النظر في وجهه الجميل.

عاد فيض من الذكريات لتؤلمها من جديد، وبقوة لم تكن تعرف بوجودها، تخلصت من قبضته. كان الوجع الآن جسدياً وليس عاطفياً. فهي تستطيع التعامل مع الوجع البدني بسهولة أكثر من الوجع العاطفي الذي سببه لها هذا الرجل ذات مرة.

عرفت ان الندوب على يديها سوف تختفي ولكن ندوبها الداخلية سوف تبقى.

سألته بتعجرف وتحد:«كيف حال عائلتك، ستيفان؟»

تجلت نظرات عينيه وهو يقول:«عائلة؟» ردد برقة مبطنة:«هناك أمي، وبربارة الان فقط.»

فقط أمه وبربارة؟ ليس هناك حاجة لشخص آخر فالإثنتان رائعتان لوحدهما! اضافت بتعبير إستفهامي:«وكيف حالهما؟»

لوى ستيفان فمه قائلاً:«هل حقاً تهتمين؟»

كلا. انها لا تهتم على الإطلاق، ولكن على الاقل ذكرهما قد أبعد انتباهه عن المكالمة الهاتفية التي قاطعها منذ قليل.

اجابت بصدق:«كلا.» ولم تجفل من نظراته العميقة الخطرة، وتذكرت جيداً كم ان هاتين المرأتين قد كرهتاها فيما مضى، وكانتا تظهران كرههما لها في كل مناسبة. وهي متأكدة أنهما ما كانتا لتكترثا لحالها الآن بقدر ما تكترث هي بهما، بالإضافة الى ان كلوديا ثورنتون كانت الرافضة الأولى لها. ولم تكن راضية إطلاقاً عن علاقة سينتيا بولدها. وبربارة أظهرت نوعاً آخر من التهديد مختلفاً كلياً. هل ما زالت؟ إذا كانت لا تزال، فإن لدى سينتيا دافعاً أشد للشفقة على ريبيكا الآن.

همس ستيفان:«لا اعتقد ذلك.» فيما كان غضبه المكبوت في داخله يوشك ان ينفجر.

اطلقت سينتيا تنهيدة:«ماذا تريد مني، يا ستيفان؟» وأضافت مقطبة:«إعادة الماضي لن تساعد احداً، يجب عليك التركيز على مستقبلك.»

عاد تفكيرها من جديد الى ريبيكا والمكالمة الهاتفية الغريبة التي تلقتها منها. كان ستيفان يراقبها، وقال اخيرا برقة:«وماذا تعنين بذلك؟»

لم يكن في نيتها خداع ريبيكا، وأردفت بغير اكتراث:«هل تحب ريبيكا هاركورت؟»

تنفس بعمق وقال:«وما شأنك انت بعواطفي؟»

بدا أن ستيفان يعتقد ان في استطاعته العودة الى حياتها من جديد بعد سبع سنوات، متظاهرا بالبراءة، ويطلب منها ما يريد. ولكنها لن تعطيه نفس الفرصة! قالت بسخرية:«عواطف ستيفان!» وتابعت مقطبة الوجه:«انا لا أصدق انك تملك شيئا منها تجاه ريبيكا، على الأقل ليس من نوع العواطف التي يجب ان تملكها تجاه المرأة التي تنوي الزواج منها.»

تحرك ستيفان عابرا الغرفة بخطوات خفيفة ليقف على بعد خطوات منها. وسألها:«ماذا تعرفين انت عن ذلك أو متى عرفت او اهتممت بما أحسه أنا؟»

هذا لم يعد عدلا. فلعدة اسابيع، أسابيع ثمينة أثرت على حياة سينتيا، اعتقدت، انها تعرفت على هذا الرجل جيدا. ومع ان الحقيقة أثبتت غير ذلك، فان هذا الإثبات ما كان ليأخذ تلك الامور منها.

كانت متأكدة ان ستيفان لا يحب ريبيكا! إذاً لماذا ينوي الزواج منها؟ لماذا لم يتزوج بربارة كما ظنت أنه قد يفعل؟

نظرت سينتيا الى وجه ستيفان والدموع تحجب وجهه

عنها وكأن هذا الحجاب قد محا عن وجه هذا الرجل كل ملامح الحدة. وعاد ذلك الشاب الذي عرفته منذ سبع سنوات. فمع أنه كان يعرف قدراته، لم يملك غطرسة هذا الغريب الذي يشبهه.

رمشت بعينيها لإزالة تلك الدموع وذهبت صورة ستيفان القريب الى القلب الذي عرفته من قبل. وبقيت صورة ذلك الرجل الذي تملأ وجهه.

ربما كان دائما هكذا وهي كانت متورطة معه الى درجة لم تلحظ ذلك؟ كلا! فهي لا تستطيع ان تصدق هذا. لأن كل ما شعرت به ذات مرة تحول الى تفاهة. وهذا أمر كان مهما جدا في حياتها.

تراجعت الى الوراء قائلة:«نحن لا نبحث بأمري يا ستيفان.» وسألته بانتباه:«لماذا تتزوج من ريبيكا؟»

لوى فمه ووضع يديه في جيبي سرواله، وسترته مرتدة الى الوراء بإهمال، مظهرا شكل جسده المتناسق تحت صديريته. لقد كان ستيفان وما يزال...

رد ستيفان برقة وفمه ينم عن السخرية:«لماذا تعتقدين أنني سأتزوجها؟» كانت سينتيا على وشك ان تترك حقها في التفكير بأي شكل عن علاقته بريبيكا، ولكنها توقفت متذكرة علاقة ستيفان العائلية بجيرالد هاركورت وعلاقة الصداقة الواضحة بين الرجلين. وقد عرفت تماما لماذا سيتزوج ستيفان الفتاة ولماذا وافقت ريبيكا على الزواج منه.

قالت بنفور ظاهر:«زواج مصلحة، يا ستيفان.» وهزت

www.elromancia.com

رأسها ثانية ونظرت صوبه بإشفاق:«ماذا حدث لك؟»
رد نظرتها بنظرة جليدية وقال:«حدث لي؟»
حدقت فيه سينتيا وكأنها لا تعرفه وكما لو أنها بالتأكيد لم تعرفه ابداً. قالت:«أهذا ما اصبحت عليه يا ستيفان، رجل اعمال متغطرس مثل أليكس؟»
قاطعها ستيفان بحدة:«دعي أليكس من هذا الأمر!»
تشنجت يداه وهو يقول:«لقد توفي.»
كانت تعلم ان أخاه توفي ولكنه باقٍ في حياة ستيفان. فأليكس كان من عادته ان يقوّد طائرته المروحية خاصته ويتنقل بها الى أماكن عمله.
ولكن في احدى المرات اصطدمت طائرته بأحد النتوءات الصخرية فوق جبال كامبريان، فمات هو ومرافقه على الفور. ولكن وفاة أليكس لم تكن لتغير من كراهية ستيفان تجاه توسع أعمال أخيه باني امبراطورية العائلة والتي كانت تجعل ستيفان يرتجف من فكرة تورطه في ذلك العالم. والآن كما يبدو، ليس متورطاً فحسب، بل أصبح بارد القلب وسافلاً أكثر من أليكس نفسه.
«لا تستطيع ان تتزوج من ريبيكا فقط من أجل مصلحة العمل، يا ستيفان؟»
سألها متحدياً:«من يقول لا استطيع؟ انت؟ لقد انسحبت من حياتي عند أول إشارة الى ان الأمور ستكون صعبة لفترة، وهكذا...»
احتجت:«هذا ليس صحيحاً! لم يكن أمامي أي خيار...»

سألها مستفهماً:«نعم؟ انا ماذا؟ لم أكن استطيع ان أوليك الإهتمام الذي أردته بعد موت أليكس؟»
وأضاف متألماً:«لقد اعتقدت انك تفهمت كيف كان الأمر.» وهز رأسه بقرف وقال:«لكنك تركتني مع هذا الاعتقاد الخاطىء لوقت طويل! لقد قررت أنه الوقت المناسب لإعلامي بعودتك الى كولينز من جديد.» لمعت عيناه ببريق الغضب وأضاف بقسوة:«هذا إذا كنت قد توقفت عن رؤيته.»
طالبته واللون الأحمر يعلو وجنتيها:«وماذا تعني بذلك؟»
أشار ستيفان لا مبالياً بحركة من يده:«لقد كنت متورطة مع كولينز قبل ان أتعرف إليك. لقد كنا قريبين.. نحن... فقط لعدة أسابيع ومن الطبيعي الإفتراض أنه...»
قاطعته وعيناها تلمعان بشدة:«إنني استمريت بلقاء روجرز بينما كنت أخبرك بأنني احبك. لهذا لم...»
أردفت مزدرية بقرف:«ارجو ان تعفيني من الباقي.»
قطب وجهه متسائلاً:«يعني؟»
«يعني...» وانكسرت الكلمات مع تنهيدة ثقيلة. لم تكن سينتيا غير منتبهة للخطر الظاهر على وجهه. ولكن في النهاية ما كانت تقصده هو أنه ما من داع بعد كل الذي جرى احياء الماضي مع كل ذكرياته المؤلمة. وهزت رأسها لا مبالية:«هذا لا يهم.»
«من الظاهر أنه كذلك.» ثم اضاف وعيناه ما زالتا

مشدودتان:«وإلا ما كنت وجهت الملاحظة ابداً.» امسك بكتفيها قائلا:«أخبريني ماذا قصدت يا سينتيا؟ لن اتركك قبل ان تخبريني.»

تطلعت نحوه بعينين معذبتين. لقد أحبت هذا الرجل كثيراً ذات يوم وكانت على استعداد لفعل أي شيء من أجله، إلا امراً واحداً طالبها به. لقد حذرها روجر عندما بدأت تخرج مع ستيفان من ان الطبقة التي ينتمي إليها ستيفان ثورنتون تعيش وفقاً لقوانين مختلفة عن قوانينهم. ولكنها كانت متيمة في ذلك الوقت الى درجة لم تصغ لهذه التحذيرات. لقد دفعت ثمن ذلك غالياً لمدة طويلة من الوقت بعد ان خرج ستيفان من حياتها.

بدأ جرس الهاتف يرن دون توقف. ولكنها لم تكن تريد الرد عليه، فلقد أرادت ان تعرف الإحساس الذي دفع ستيفان ليقبلها بمثل تلك الطريقة. فحرارة عناقه لم تكن لتخطئها، وكذلك استجابتها الطبيعية له. ولكن عندما رفعت رأسها لتسأله عن ذلك دفعها بعيداً عنه، وعلت القسوة شفتيه.

ابتعد عنها بحركات فجائية وأمرها بقوة:«أجيبي على هذا الشيء.» ولوى فمه قائلا:«لا بد أنها عروس فقيرة تريد الهرب من زفافها، وكل شيء يتعلق به بما فيه العريس!»

احمر وجه سينتيا عندما تذكرت حديثها مع ريبيكا هاركورت منذ وقت قصير. فإذا كان هناك من عروس

تريد الهرب، فإنها هي! امسكت بسماعة الهاتف ونظرتها العميقة مركزة على ستيفان الذي وقف باتجاهها ساكناً ينظر من النافذة الى الشارع. يقع المكتب فوق مخبز. في بعض الأيام تهب رائحة الخبز الى أنف سينتيا وهي تشعر بالجوع، هذا عدا عن أن الساعة هي الثانية والنصف، ولم تتناول غداءها بعد. فاليوم ليس مثل تلك الأيام!

حياها صوت رجل دافىء:«مرحباً، سينتيا. لقد ذهبت باكراً قبل ان تسنح لي فرصة التخطيط للقائك على العشاء الذي وعدتني به.» جيرالد هاركورت! رمت سينتيا بنظرة يقظة الى ستيفان، من بين كل الناس يتصل بها جيرالد الآن!

كما لو أنه لاحظ توترها، استدار ستيفان ببطء لينظر الى وجهها الشاحب وهو يقول:«ماذا هناك؟»

تنفست سينتيا بصعوبة. هذا مريع حقاً. لم تدر ماذا تفعل.

قال جيرالد بصوت حائر:«سينتيا.» عندما لم يسمع إجابة على عبارته المقتضبة، تابع:«هل اتصلت في وقت غير مناسب؟» حاول ان يخمن بأنه وقت حرج. لا يستطيع ان يكون اسوأ.

ازدردت ريقها بصعوبة:«ليس في الحقيقة!» كذبت قائلة:«والعشاء سيكون جميلا.» ولم تستطع النظر ناحية ستيفان. لقد قبلت الدعوة. إذا لم تقبل الدعوة فإنه سيطيل المكالمة. ومع وجود ستيفان في الغرفة

www.elromancia.com

وملامحه المكفهرة فهذا سيزعجها. تابعت الكلام مع جيرالد:«هل تستطيع ان تصطحبني في الساعة الثامنة؟» وأضافت مستطردة:«يوجد مطعم إيطالي بالقرب من هنا، إلا إذا كنت لا ترغب بالمعجنات؟» ومن كان يأبه لما يحب أو يكره؟ فكل ما ارادته هو إنهاء هذه المكالمة بأسرع ما يمكن لأنها إذا لم تفعل، فإن ستيفان سينفجر!

وافق جيرالد سريعا:«تبدو المعجنات رائعة.» وبدا واضحا أنه مسرور لنجاحه السريع إذ بدا وكأنه يخطط لإقناعها بقبول دعوته منذ وقت. اعطته سينتيا عنوانها بسرعة مبقية عينيها على ستيفان! وهي تحاول إنهاء المكالمة من دون ان تبدو فظة. لم يتحرك ستيفان من مكانه قرب النافذة وأخذ يبدو مرعبا أكثر. تنظر إليه بقلق. وبقيا صامتين، لأنها لا تعرف ما تقول، أما ستيفان، فكانت متأكدة ان لديه الكثير ليقوله!

سألها اخيرا باتهام واضح:«جيرالد؟»

أجابت:«نعم.» وملأت الحرارة وجهها لتبدو كتأكيد كاف.

شد ستيفان فمه قائلاً:«سوف تتناولين العشاء معه الليلة؟»

رفعت وجهها بتحد:«نعم.» مؤكدة على العبارة.

هز رأسه، وعاد فمه من جديد مزدريا:«لقد سألتني منذ وقت قصير ماذا جرى لي؟» سوف اخبرك بكلمة واحدة ماذا جرى لي، انت السبب. انت وشعرك الفضي

وعيناك البنفسجيتان وتعبير بريء خدعني منذ سبع سنوات، ولكن ليس من جديد!» مشى باتجاه الباب وفتحه قائلا:«ليس من جديد!» وأغلق الباب بشدة الى درجة ان الجدران قد اهتزت.

سقطت سينتيا على كرسيها بضعف، ليس من جديد. ستيفان قال هذا. ولكن مع ذلك فعناقه منذ وقت قصير في هذه الغرفة بالذات يجعل من كلامه هذا كذبا. في الحقيقة إذا كان ستيفان قد عانقها بمثل هذه العاطفة الجامحة فإنه لا يملك أي حق بالزواج من ريبيكا هاركورت!

www.elromancia.com

الفصل الثالث

لو أن الأمور سارت بشكل طبيعي، لما كان ستيفان وسينتيا ليتقابلا ابدا. وفي الحقيقة، كان من الافضل لهما وللجميع لو أنهما لم يتقابلا قط! كانت سينتيا تعمل في احد استقبالات المساء عند آل ثورنتون، الفندق الشيق الذي تملكه العائلة في قلب لندن. وهو نفس الفندق الذي ستجري فيه حفلة زفاف ريبيكا وستيفان في شهر آب - اغسطس.

كان هناك الكثير من العمل في النهار والليل من أجل تلك الليلة بالذات. فاليكس ثورنتون وزوجته كانا الضيفين في حفلة ذكرى ميلاد والدته كلوديا التي أصبحت في الستين، إضافة الى ان هذا الحفل كان معلناً عنه على لائحة الملاحظات حيث يدخل الضيوف، فلقد أمضت سينتيا معظم الليل في إرشاد الضيوف الى الغرفة المناسبة.

لكنها لم تر أياً من أفراد عائلة ثورنتون، حيث قام مدير الفندق شخصيا بإدخالهم الى الحفلة. عند الساعة العاشرة والربع تأكدت سينتيا من ان كل الضيوف قد حضروا، فجلست الى جانب الكومبيوتر لتنهي بعض الأعمال التي لم تستطع إتمامها في وقت أبكر بينما أخذت بعض الفتيات وقتا اليوم من أجل إتمام كل شيء لحفلة ثورنتون. وكانت سينتيا سعيدة

بانتظار ان تأخذ وقتها للراحة، رغم علمها انها لن تكون طويلة.

سأل صوت عميق مرح، مستفهماً:«ماذا فعل لك هذا الكومبيوتر؟» رفعت سينتيا رأسها بعد ان كانت مركزة باهتمام على الشاشة أمامها، وفتحت عينيها جيدا عندما لاحظت شكل الرجل المنحني امامها على الطاولة بينما كان يراقبها تتصارع مع نظام الكومبيوتر لإدخال إسم نزيل في المجال المخصص للأسماء على الجهاز. فمن الواضح انهم لم يهتموا بترك مجال واسع لأسماء الناس القادمين من روسيا عندما أعدوا هذا النظام. لكن نظرة واحدة الى هذا الرجل جعلتها لا تهتم لأمر العنوان فهذا الرجل كان رائعا! طويلا. من المؤكد انه على هذا الشكل لكي يستطيع الإنحناء فوق مكتب الإستقبال! مع شعر طويل أشقر ينسدل فوق جبينه. وعيناه الواسعتان تنظران نحو سينتيا بعذوبة بينما هي تحملق فيه، فقسماته تتعدى ما يسمى بالوسامة وكل ما يتعدى الحياة. فوجنتاه عاليتان وأنفه أفطس كأنما كسر ذات مرة! وقفت سينتيا على مهل، وعبرت الى الجانب الآخر من المكتب.

قالت بسخرية:«الآلات وأنا لا نتفق.» وعرضت عليه بتهذيب:«هل استطيع ان اساعدك؟» وبدا لها من خلال قميصه الناصع البياض وبدلته السوداء وربطة عنقه التي يبدو أنه قد عقدها بسرعة، انه ضيف آخر لحفلة ثورنتون. ولم تستطع ان تمنع نفسها من التساؤل عما

www.elromancia.com

إذا كانت أي من الفتيات تعرف من هو هذا الضيف. كانت هناك قائمة من أجل دواعي الأمن. ولكن بدا ان الاستعلامات الكثيرة عن الحفلة قد استهلكتها. القت سينتيا بنظرة جانبية على القائمة الموجودة الى جانب يدها. لكن كان هناك العديد من الاسماء التي لم تشطب، الى درجة أنه من المستحيل ان تعلم أيا منهم هو هذا الرجل، إلا إذا سألته، ولم تستطع سؤاله مع أنها كانت راغبة في ذلك.

قال بتجهم:«اتمنى ذلك.» ثم اردف:«أخشى انني تأخرت كما ترين وحفلة آل ثورنتون...»

اومأت بتفهم:«حسنا، لو كنت مكانك لما قلقت على هذا التأخير. فإن تلك الغرفة مكتظة الى درجة ان احدا لن يلاحظ غيابك!» مع أنها لو دعت هذا الرجل الى حفلة ما وحتى إذا كان فيها ثلاثمائة ضيف كانت ستلاحظ غيابه.

هز رأسه رافضاً:«ما كنت أكيداً كل التأكد لو كنت مكانك!»

آه، فكرت ان هناك امرأة بالموضوع. إمرأة مثلها تلاحظ غيابه. إمرأة على ما يبدو ولا يريد جرحها. وإلا لما كان هنا على الإطلاق. لسبب ما جعلها هذا الأمر مكتئبة.

«لقد نسيت امر الليلة كما ترين.»

قطب الرجل وجهه غير منتبه لأفكار سينتيا المخيبة. «ولكن منذ نصف ساعة قمت بأسرع تغيير في التاريخ،

ماذا هناك؟» عبس عندما لاحظ أنها تومىء له ببطء. لم يكن في إمكانها إبلاغ أي من ضيوف الفندق ان لباسه غير لائق. وعبس متطلعا الى مظهره العام عندما أدرك ان هذا ما يسبب لها الإحراج.

«لم أرتد جاربين مختلفي الألوان من جديد... لا يمكن ان يكون... لا تستطيعين النظر الى قدمي، حسنا.» تابع متنهدا:«ما هو؟ دماء على ياقتي؟ صابون الحلاقة على أذني؟» ارتبك يائسا. كانت سينتيا تضحك، ولم تستطع منع نفسها، بسبب استهزائه من نفسه تجاه اقتراحه! من بين هذه الاشياء، لا بد انه اقترف كل هذه الأخطاء مرة واحدة.

أكدت له بابتسامة:«ولا واحدة من هذه.» وأخبرته بسخرية واضحة:«ولكن ربطة عنقك غير مرتبة.» وضع يده متفحصا ربطة العنق. يدٌ طويلة ناعمة الملمس والأصابع طويلة ومقلمة. تمتم:«لم أكن ابدو جيدا في هذه الأمور. لا اعتقد أنك...»

قطبت سينتيا بارتباك:«أنا ماذا؟»

«لا يمكنك ان تكوني اسوأ مني في عقد ربطة العنق.» وقرر بحزم منحنيا فوق المكتب من جديد:«هيا.» ورفع ذقنه الى الوراء ليسمح لها بأن تربطها بشكل أفضل حول عنقه.

نظرت إليه بعدم رضا لعدة ثوان. فهي لا تستطيع ان تمضي في إعادة ترتيب ملابس الضيوف! لا بد ان هناك بالتأكيد بندا فيما يتعلق بهذا الأمر في عقد

www.elromancia.com

الاتفاق الذي وقعته للعمل هنا، ولم يمض زمن طويل على استسلامها له.

تمتم وفمه مشدود:«حسناً.» وبدا تعباً من وقفته غير الطبيعية. «سوف أحصل على رقبة متشنجة إذا استمريت في رفع ذقني عالياً لمدة اطول، وانتهى بالمشي هكذا كل الليل. وعندها فعلاً سأصبح مشهورا!»

مع المرأة التي تنتظر وصوله في حفلة ثورنتون. ولكن لماذا هي مهتمة؟ من غير المحتمل ان ترى هذا الرجل مجدداً، وهكذا فما الفرق بالنسبة إليها عمن ينتظره في غرفة الاستقبال؟ تنهدت بتثاقل وهي تنحني إلى الأمام وتحاول فك ربطة عنقه، لتبدأ بربطها من جديد وقد أحست بخشونة القماش.

كان دنوه منها مهماً وأحست بشيء من التوتر، مما أدى الى فشل محاولتها الأولى. ولكن الرجل كان قريباً منها الى درجة أنها رأت مسام وجهه، وأحست بأنفاسه الدافئة على وجهها. فكيف تستطيع التركيز؟

قال برضى:«ليس سهلا؟» عندما بدأت من جديد، شعرت انها محظوظة لكونه لم يلاحظ أنه هو سبب فشل محاولتها الأولى.

«همم.» عبست سينتيا بينما ركزت انتباهها على ربطة عنقه وأطبعت فمها مانعة نفسها من المضي في الحديث، إذا أنها ارادت التركيز على الربطة بدلاً من جاذبية الرجل الذي تعقد ربطة عنقه.

ازدرد ريقه فجأه وقال:«كل من يرانا الآن معذور في

ان يفسر الموقف كما يريد... كنت امزح فقط.» عارض ابتعادها القاطع عنه وهي تضع يديها خلف ظهرها.

«لا تستطيعين تركي هكذا.» عارضته سينتيا بصمت مع ان اقتراحه قد أيقظ بعض الخيالات في عقلها.

أمرته بنفاد صبر:«تعال الى هنا.» وشدته من ربطة عنقه الى الأمام، باتجاهها، وراحت اصابعها تعمل بسرعة وهي مضطربة بسبب أحلام اليقظة التي اجتاحتها. لا بد ان هذا الرجل فوضوي. ولكنه شخص مهم جداً كي يدعى الى حفلة ثورنتون. وفيما كانت تربت على العقدة الجديدة برضى.سأله صوت مستنكر وجوده في ذلك المكان:«انت ستيفان ماذا تفعل هنا؟»

لم تشعر سينتيا برضى عن ذلك الصوت المتدخل. لا بد أنها الآن في ورطة بسبب هذا الرجل الذي يدعى ستيفان. لم يبد منزعجاً من المتدخل، وأدار وجهه نحو المرأة التي نادته.

«اسأل عن مكان الحفلة، يا بربارا» وتقدم نحوها متابعا:«كيف تسير الأمور؟» ومر من أمام مكتب الاستقبال لينضم إليها.

نظرت سينتيا نظرة ثاقبة الى المرأة الأخرى. كانت من الضيوف الذين حضروا باكراً. كانت جميلة. قسمات وجهها ناعمة وفتية وعيناها الخضراوان محاطتان بأهداب مكحلة وفمها أحمر ولون بشرتها أسمر ذهبي. وشعرها الأسود يصل إلى كتفيها ليبدو طبيعياً، ولكن في الحقيقة ليس كذلك، فلا بد ان مصفف الشعر قد

أمضى وقتاً طويلاً في تصفيفه ليبدو كذلك. وتبدو طويلة حتى بدون الحذاء ذي الكعب العالي الذي تنتعله مع فستانها الأسود. الضيق الذي يعلو عن حدود ركبتيها مظهراساقيها الناعمتين.

كانت على النقيض من سينتيا. اذ ان سينتيا ذات الشعر الذهبي المعقود في جديلة تصل الى خصرها وقسماتها الهادئة، لا يمكن ان توصف بالجميلة. وكانت عقدة حياتها في قصر قامتها، فلطالما تمنت ان تكون طويلة مثل المرأة التي يقبلها الآن ستيفان على وجنتيها بحرارة.

أجابت المرأة التي تدعى باربرا على استفهام ستيفان:«يبدو أليكس هذه الليلة أكثر تهذيباً مع مرور الوقت.»

وسمعت سينتيا حديثهما وهي تقف قرب مكتب الاستقبال وعلى مسافة قصيرة منهما مع أنها كانت تبدو منهمكة بالأوراق التي أمامها على المكتب.

وأضافت المرأة ذات العينين الخضراوين:«إنها إشارة واضحة الى انه مغتاظ.»

تنهد ستيفان:«وهل هو غير ذلك، هذه الأيام؟» وهز رأسه:«سوف يتسبب لنفسه بالذبحة القلبية إذا ما استمر هكذا، باربرا. هل تعرفين أنه...»

قاطعته باربرا بنفاد صبر:«إنه مغتاظ منك يا ستيفان. انت تعرف أنه كان عليك الحضور مبكرا لإستقبال ضيوفنا!» أليكس؟ باقي العائلة؟ ضيوفنا؟ لقد خطر

لسينتيا فجأة بينما كانت مسمرة في مكانها، أن ستيفان هذا هو احد أفراد عائلة ثورنتون، وان أليكس، هو أليكس ثورنتون رئيس صناعات آل ثورنتون، وبالتالي مديرها.

لقد تذكرت أنها قالت لستيفان ان احداً لن يلاحظ غيابه عن الحفلة مع كل هذا الحشد! وقد انتقدت مظهره قبل ان تحاول إعادة عقد ربطة عنقه! ولكن من هو؟

ورفع حاجبيه بسخرية فوق عينيه العنبريتين قبل ان يقول:«عندما تلقيت دعوة رسمية اعتقدت ان اسمي وارداً في اللائحة الرسمية للضيوف، وليس للعائلة.»

رمقته باربرا بنظرة لوم، تغير فيها شكل وجهها مظهراً منظراً بشعاً لملامحها. «انت تعرف ان الدعوة قد أرسلت إليك لكي تساعدك على تذكر المجيء الى هنا. واضح اننا قد أضعنا وقتنا في تجربة ذلك. حسنا ان تصل متأخراً أفضل من ان لا تصل ابداً، كما اعتقد.» تأبطت ذراعه واتجها نحو غرفة الاستقبال. «ربما عندما يراك أليكس هنا سيهدأ.»

تمتم ستيفان من دون اهتمام:«انا لا أولي ذلك اهمية فرؤيتي لن ولم تكن لتؤثر على أخي الحازم من قبل.»

أخي! ادركت سينتيا ان الأمر اسوأ مما ظنت، لم يكن ستيفان مجرد فرد من عائلة ثورنتون فحسب، بل الابن الآخر للعائلة، والذي ازعجهم جميعا لأنه اصبح فناناً موسيقياً او أي شيء آخر حسبته العائلة غير

لائق بوريث عائلة ثورنتون. لقد كان ستيفان ثورنتون شريك أليكس ثورنتون في صناعات آل ثورنتون ويملك نصف هذا الفندق في الحقيقة.

اجابت باربرا لاوية شفتيها المطليتين بأحمر الشفاه:«كلا، ولكن هذا سيزود والدتك ببعض السعادة لأنك هنا وهذا سيساعد الموقف.» لم يظهر على ستيفان الإقتناع، ولا باربرا بدت مقتنعة بما تقوله. وبما أنها رأت أليكس ثورنتون عدة مرات، لم تستطع سينتيا منع نفسها من الاقتناع بأنهما كانا على حق في خشيتهما، فالشقيقان لا يبدوان مختلفين فقط، فأليكس يبدو أكثر سمرة وعيناه رماديتان ولا يملك قوام شقيقه الفارع بل ان طباعهما مختلفة ايضاً كما يبدو من القليل الذي رأته. فأليكس ثورنتون حازم بينما ستيفان ثورنتون بدهائه الساحر قد أسر قلب سينتيا على الفور. نظرت إليه بلهفة عندما أخذته باربرا بعيداً الى غرفة الاستقبال حيث سيكون بلا شك منشغلاً بعائلته وأصدقائه هناك ناسياً موظفة الاستقبال الصغيرة.

لقد تمنت سينتيا بالفعل ان يكون نسيها، فلم تكن تريد ان تطرد من عملها بسببه، وتصرفها معه لم يكن لائقاً! لقد لامت نفسها على عدم انتباهها لحضوره اللافت للنظر، وثقته بنفسه اللذين كانا جزءاً متمما له قد يكون اكتسبهما بالوراثة، ولكن كيف لها ان تدرك ذلك قبلاً؟ والآن وهي تراقبه مبتعداً، من المؤكد

انها ما كانت لتنسى اسماً كستيفان لو سمعته قبلاً!

توقف ستيفان فجأة وتمتم بشيء ما للمرأة التي إلى جانبه قبل ان يستدير ويمشي الى المكتب حيث ما تزال سينتيا متوقفة. شاهدت تقدمه نحوها بعينين واسعتين، آه، ماذا سيقول لها الآن؟

سألها:«هل تتناولين العشاء معي غداً، يا سينتيا سميث؟» بعد ان قرأ اسمها على ياقة السترة التي اعطاها إياها الفندق كجزء من لوازم العمل.

بلعت ريقها بصعوبة، ورمقت المرأة الاخرى التي تقف وراءه في الممشى وهي تنظر إليهما بعينين خضراوين محددتين، نقلت سينتيا نظرها فجأة، عندما لمحت الحقد في تلك النظرة. ونظرت الى ستيفان وكأنه جن فجأة او هي قد جنت. لِمَ يدعوها الى العشاء معه مساء غد؟ هلٍ دعاها...؟

ابتسم مظهراً أسنانه البيضاء على بشرته السمراء التي اكتسبها هو وباربرا في نفس الوقت معاً! لم تستطع سينتيا منع نفسها من التعجب. ولكن من كانت المرأة الأخرى؟ وما الدور الذي تلعبه في حياته كي يتمكن من تركها ليدعو سينتيا الى امسية في الخارج؟

قال:«أنا لا احمل أي خطيئة في تفكيري من أجل موعدنا الأول؟» تابع وعيناه ترمقانها باستهزاء مرح:«فقط عشاء.» هز كتفيه العريضتين وأضاف:«ولكن إذا الححت...»

www.elromancia.com

اجابته متأثرة:«اصدقائي يدعونني سين، إنه تصغير لاسم سينتيا.» كان ينظر إليها بمرح. ولكن من يستطيع لومه؟ لقد كانت تتصرف كمراهقة بلهاء وليس كفتاة تبلغ العشرين من العمر.

لوى فمه باهتمام لافظا اسمها بحرارة:«حسناً سينتيا. هل تتناولين العشاء معي غداً مساءً؟ ليس في مكان فخم كهذا، كما أخشى.» كان ينظر حواليه واستطرد:«استطيع ان اتحمل هذا النوع من الثراء حوالي مرة كل شهرين!» لم تكن سينتيا لتشعر بالراحة في مثل هذه الاماكن ولكنها لا تستطيع ان تلتقي بهذا الرجل في أي مكان. لكنه مديرها. سمعت ان الابن الثاني لعائلة ثورنتون يبقى بعيداً عن مجال الاعمال.

هزت رأسها قائلة:«انا لا استطيع. آخاف...»

اوماً بتفهم وهو يقول:«تعلمين، إستطيع ان اطلب من أخي ان يرتب أمر إجازة لك غداً مساء.»

«آه، لا.» صرحت سينتيا بعدم رضاها على الاقتراح. آخر ما تريد ان يسمعه رئيس عائلة ثورنتون، هو علاقتها بأخيه:«أنا لن...»

أنهى ستيفان اعتراضها بمزاح:«اعتقد ان افضل طريقة، هي أي ليلة إجازة لك وسوف نتدبر الأمر.»

نظرت إليه سينتيا بتركيز. لا يبدو انه يستهزىء بها ولكن مع ذلك لماذا يدعو فتاة مثلها الى العشاء؟

اضاف ترغيباً لها:«هل تحبين الطعام الصيني؟ هذا ما أحبه انا الا إذا كنت...»

قالت سينتيا بسرعة:«انا احب الطعام الصيني.» واعية لنفاد صبر باربرا الجميلة المتوقفة في الممشى. «وليلة غد تصادف يوم إجازتي ولكن...»

«عظيم، سوف ألقاك خارجا في الساعة السابعة والنصف مساءً.» ونظر الى الوراء ليرى الرجل الذي انضم الى باربرا الجميلة. تذكرت سينتيا جيداً أنه أليكس ثورنتون.

أخبرها ستيفان:«أكره ان أكل متأخراً.» ثم انضم إليهما. ولم ينظر إليها بعد ذلك عندما ذهبوا ثلاثتهم الى قاعة الموسيقى.

نظرت سينتيا إليهم وهي تفكر، لقد دعيت بأعذب طريقة للقاء ستيفان ثورنتون على العشاء مساء غد. لم يكن عليها الإلتزام بذلك الموعد لو عرفت ان التقرب إليه أكثر سيقودها الى ما يشبه الذبحة القلبية. آه، الذبحة القلبية لا تكفي لوصف الألم الذي عانته من الوقوع بحب ستيفان ثورنتون! وتناول العشاء مع جيرالد هاركورت. إنه أقل قسوة. فرفقة جيرالد كانت سهلة بدون ضغط. ربما لأنه لا يحتاج الى الضغط. وفكرت سينتيا ان سحر جيرالد الطبيعي ووسامته كافيان للفوز بالقلوب، ولكن ليس قلب سينتيا. فهي تحبه بشكل كاف. ولو أنه لن يصبح حما ستيفان ثورنتون لكانت ابقت على صلتها به. ولكن بما أنه سيصبح حما ستيفان...

اخبرها بحرارة:«انا لن اتخلى عنك.» وقال عندما

www.elromancia.com

رفضت دعوته الثانية:«فكرت أنك ربما ستكونين المرأة التي تغير رأيي بالزواج.»
نظرت سينتيا إليه نظرة عتاب بينما وقف في غرفة الجلوس الصغيرة داخل منزلها المؤلف من غرفتين والذي استأجرته منذ عامين في احدى ضواحي فلتام وكان جيرالد قد رافقها الى منزلها بعد ان تناولا العشاء. وقالت:«هل تقع النساء عادة في هذا الفخ؟»
قال بازدراء من دون خجل:«قليل منهن في الواقع.»
ضحكت سينتيا بخفة:«جيرالد، ربما نستطيع تناول العشاء معاً من وقت الى آخر، إنما الآن اريد التركيز على حفلة زفاف ابنتك.»
كشر قائلاً:«تذكيري بابنة على وشك الزواج يكفي لإبقائي في مكاني، أليس كذلك؟»
هزت رأسها قائلة:«لم أقصد ذلك، ابنتك ما زالت صغيرة على الزواج.»
قطب جيرالد جبينه وقال:«انها تجاوزت العشرين من العمر اعترف بأن ستيفان أكبر منها بكثير. إنه في الخامسة والثلاثين، ولكن انا أكيد بأنهما مناسبان لبعضهما البعض.»
قالت بوهن:«ولكن العريس يبدو غريباً قليلاً.» فستيفان الذي التقيته اليوم يكاد لا يكون ستيفان المثير الذي تعرفت إليه منذ سبع سنوات، لقد بدا وكأنه لا يعرف كيف يكون مثيراً!
أضاف بعدم اكتراث:«اوه، ستيفان لا بأس به، هو

وريبيكا صديقان...» صديقان؟ عبست سينتيا:«أليس من الغريب قول ذلك عن إثنين سوف يتزوجان في غضون اربعة اشهر؟»
لم يوافق جيرالد:«لا، ليس غريباً على الاطلاق... إنني اتمنى لو أنني ووالدة ريبيكا كنا صديقين قبل الزواج، ربما لم نكن لننتهي عدوين لدودين عندما انتهت العاطفة الأولية بيننا. ويمكنني ان أخمن بأن نفس الشيء قد حصل معك.» ونظر إليها نظرة حازمة.
اتسعت عينا سينتيا وسألته:«ماذا تقصد؟»
ماذا يعني؟ لقد كانت اكيدة بأنها وستيفان اليوم لم يعطيا أي انطباع على انهما يعرفان بعضهما البعض منذ عدة سنوات.
قال:«كائناً من كان الرجل في ماضيك والذي اعطاك عدم الثقة بالزواج مثلي، فأنا اؤكد لك على أنكما لم تكونا صديقين.»
لقد كان رهاناً خاسراً. فهما كانا صديقين حميمين منذ بداية علاقتهما، مما أدهش سينتيا التي كانت متأكدة من أنه لا يوجد أي شيء مشترك بينهما. ولكن ما من طريقة لتخبر جيرالد عن الرجل! ابتسمت بعدم اكتراث قالت:«أنا أكيدة من ان كلا منا قد عانى من الأزمات العاطفية في ماضيه الى درجة أنها قد أثرت على حياته، ولكننا تغلبنا عليها.» ورفعت وجهها عالياً إذ أنها كانت تعرف أنها لن تنسى ستيفان.
أومأ جيرالد بتفكير:«بعضنا يفعل.» وأخذ يراقبها.

www.elromancia.com

وافقها أخيراً:«سوف أؤجل دعوة العشاء إذاً. وتحرك ليجذبها إليه من كتفيها بخفة:«ولكنني قد اقصد أنني لن اتركك بالفعل.» ومرر اصابعه بخفة على شفتيها.
وقفت سينتيا عند باب منزلها المضاء تلوح مودعة جيرالد الذي كان يقود سيارته بطريق العودة. وتعجبت ماذا سيفعل لو أنه عرف أنها وستيفان كانا على وشك الزواج منذ سبع سنوات!

* * *

بالعودة الى الماضي، عندما أنهت عملها في الفندق تلك الليلة لم تر ستيفان ثورنتون بعد ذلك. لسوء الحظ، فقد اعتقدت أنه لم يكن جادا، فما الذي دفعها لانتظاره خارج فندق ثورنتون في الساعة السابعة والنصف في الليلة التالية؟
شعرت بارتباك شديد وهي تقف في الممشى، والناس الداخلون الى الفندق ينظرون إليها بفضول، بينما حاولت إن تبدو طبيعية وتتظاهر بأنها تنتظر احداً ما، شخصاً ما لم يصل حتى الساعة الثامنة إلا ثلثا! لم يكن جاداً، أدركت ذلك بقلب غارق، وهي تفكر كيف تستطيع الإنسحاب من دون لفت الانتباه أكثر إليها.
النادل الذي تعرفت إليه منذ بضعة أسابيع كان يراقبها بانتباه، فقط ليعرف مع من كان موعدها. كم هو مريع ان هذا الموعد لم يتم! قال لاهثا:«من حسن الحظ، إنني وجدتك.» سمعت الصوت من خلفها:«لقد اعتقدت أنني تأخرت.»

لقد كانت سينتيا على وشك الإنسحاب من أمام البوابة الرئيسية للفندق، ولكنها التفتت بسرعة عندما سمعت صوت ستيفان ثورنتون. بدا ان ستيفان قد احتار ماذا يرتدي لتلك الأمسية، تماما كما احتارت سينتيا بين الملابس العملية او الرسمية. حيث أنه لم يكن يرتدي سترة مع ان برد شهر نيسان (ابريل) كان قارساً. وبدا على قميصه الأزرق بعض بقع الطعام! وقد عبست سينتيا من رؤية البقع ذات اللونين الأخضر والأحمر واعتقدت انها من وجبة طعام! لقد كان مظهره أقل ترتيباً من مظهره ليلة السبت وشعره اشعث من الهواء.
انتبه الى ذلك عندما لاحظ نظراتها الصامتة إليه، ووضع يده على شعره يحاول إزاحة بعض الخصلات عن جبينه:«إنني آسف لتأخري عن موعدنا يا سينتيا، ولكنني تأخرت في العمل.»
لم تستطع منع نفسها من التعجب:«انت تعمل يوم العطلة؟»
عبس لردة فعلها وأمسك بيده بقوة:«انا اعمل كل يوم يا سينتيا.» واقترح بنعومة:«دعينا نذهب وسنتكلم ونحن نتناول طعام العشاء.» لقد ظن انها سترفض تناول العشاء معه لأنه تأخر عشر دقائق فقط! ادركت سينتيا بذهول.
لم تكن سينتيا سعيدة بوقوفها في ذلك المكان بانتظاره، اعترفت بذلك. والآن بما أنه قد حضر فإن

النادل قد اضطر لرؤيته الشخص الذي أتى ليقابلها.
ومن الواضح أنه ما يزال يذكر ستيفان من ليلة أمس! ولكنها ما كانت لتغير من رأيها في شأن العشاء من أجل عشر دقائق تأخير. ومن تعبير النادل المندهش، كان من الافضل لهما الابتعاد عن الفندق بسرعة!
قالت:«لقد اعتقدت انك قد تناولت طعامك.» وعبست في وجهه وهما يتجهان نحو سيارة الأجرة التي أشار إليها ستيفان بالاقتراب.
اعطى ستيفان عنوانا للسائق وجلس بجانب سينتيا في المقعد الخلفي. بدا مرتبكا ونظر إليها قائلا:«ما الذي اعطاك هذا الانطباع؟ هذا ليس طعاما.» وضحك باستخفاف من طريقة نظرتها للأمر ووضع يده على البقع معترفا بذنبه:«كان عليّ تغييره قبل مجيئي للقائك. ولكنني انشغلت في عملي، وكانت الساعة السابعة والنصف عندما تذكرت موعدنا.»
ضحكت بنعومة وبدأت تشعر بالراحة وهما يبتعدان عن الفندق، لقد كان اسوأ مكان ممكن لتدبر موعد لقائهما، مع انها كانت تعرف أنه لم يكن أمامه الكثير من الوقت ليقرر مكاناً آخر.
قالت بابتسامة عاتبة:«ما استطعت قوله لم يكن جديراً بالإطراء.»
تحركت يد ستيفان للامساك بيدها:«عندما تعرفينني جيدا ستدركين أنني لا أجيد الإطراء ابدا.» اخبرها بحدة:«في الواقع لقد اتهمت بعكس ذلك تماما في

أكثر من مناسبة.» وبدا أنه اعطى بعض الحياة للحوار حين قال:«أمل انك لا تمانعين، فلقد طلبت من السائق ان يأخذنا الى شقتي، فأنا عليّ ان أبدل ملابسي قبل ان اصطحبك الى العشاء.»
لم تأبه سينتيا الى اين يذهبان، لأن جسدها كان يرتجف من مجرد لمسة يديه ليديها. ولاحظت دفء نظراته بينما كانا في طريقهما الى الشقة.
كانت الشقة كما توقعت سينتيا في ماي فير، وأخذها الى الطابق الأخير من المبنى. ولكن أثاث المنزل كان في غاية الغنى. فالخشب مع الكروم مغطى بجلد بني بدا وكأنه ليس ذوق ستيفان.
قال ستيفان:«باربرا هي من جهزت الشقة.» وكأنه قرأ افكارها! باربرا من جديد. لم تقدر سينتيا ان تمنع نفسها من التفكير في موقع باربرا في حياة ستيفان. وجعلها هذا الأمر تشعر بالاكتئاب.
بدا ستيفان وكأنه لا يعي مشاعرها فقال بخفة:«امنحيني بضع دقائق لأغيّر ملابسي وسأكون معك.» ودلها الى مكان الثلاجة:«قدمي لنفسك عصيراً واطلعي على رفوف الكتب.» وأسرع الى الغرفة مشرعا بفك أزرار قميصه.
اخذت سينتيا بضع دقائق لالتقاط انفاسها قبل ان تنفذ فكرتها، فكونها برفقة ستيفان ثورنتون جعلها تشعر وكأنها دخلت في القطار السريع! ولكن عندما نظرت الى رفوف الكتب الممتدة على حائط الغرفة لم

www.elromancia.com

تعد مهتمة بالعصير. فلقد وجدت ذوق ستيفان بالكتب حيوياً مثل تفكيره تماماً، ومواضيع الكتب تشمل الشعر والسير الذاتية التاريخية والحديثة الى الفن والتاريخ، وذوقه بالقصص الخيالية يختلف بين الرعب والأحلام والغموض حتى الرواية العادية التي تصنفها ضمن الرومانسيات.

بدا ان اهتمامه ينصب على الكلاسيكيات. ولكن مع ذلك ما زالت سينتيا تعتقد انه من الصعب الحكم على طبيعة إنسان من خلال ذوقه باختيار الكتب. ورغم الوقت القصير الذي عرفته فيه، إلا أنها أحست أنها بحاجة ماسة لأن تعرف عنه أكثر.

لكن بضع الدقائق التي طلبها ستيفان امتدت الى وقت أطول. وعندما نظرت الى ساعة يدها عرفت أنه انصرف منذ أكثر من نصف ساعة. بالتأكيد لا يلزمه كل هذا الوقت لكي يغير ملابسه؟ وحتى إذا كان قد قرر ان يستحم ويحلق ذقنه قبل ان يرتدي الثياب النظيفة فمن المؤكد أنه لن يلزمه كل هذا الوقت الطويل.

نادته:«ستيفان؟» وأعادتها ثانية عندما لم تسمع رداً على ندائها الأول. «ستيفان!» ومع ذلك لا جواب. ماذا كان يفعل؟ لم تشعر بالراحة تماماً من فكرة دخولها غرفة نومه، ولكن إذا كان لا يستجيب لندائها... الى جانب ذلك قد يكون وقع ارضاً ولا يستطيع الرد عليها. لم يكن امراً محبباً، ولكن هناك أمراً ما قد أخره. الامر يتحول الى مفاجأة كاملة لسينتيا، التي لم تكن لديها

أي فكرة عن أي شيء. غرفة نوم ستيفان غرفة اخرى تستطيع سينتيا ان تقول عنها أنها لم تفرش حسب ذوقه. فمروشاتها الفخمة لا تناسبه ابداً، ولكنها كانت خالية من الرجل نفسه، والحمام ايضاً كان خالياً ولكن الباب الآخر الملحق بالغرفة كان أكثر أهمية.

دخلت الغرفة ببطء وفتحت عينيها بقوة عندما وجدت نفسها داخل محترف. محترف فنان، رسومات كاملة وشبه كاملة منتشرة على الجدران وسقف الغرفة من الزجاج يسمح بوصول أكبر كمية من ضوء الشمس. وصدق تكهن سينتيا ان المناظر هنا، هي التي تحتاج الى الضوء لكي تؤثر بالأحاسيس، وليس بالنظر فقط، وحينما نظرت إليها باهتمام، اخذ استغرابها يتزايد، فالرسومات كانت جيدة جداً رغم عدم معرفتها بأمور كهذه. ستيفان قد رسمها جميعاً.

كان ستيفان يجلس وظهره إليها، مهتماً كلياً بلوحته شبه الكاملة أمامه. والمرأة في الرسم كانت مستلقية بين الصخور الرمادية والبحر الرمادي الهائج حولها يحاول ان يغرقها في لججه الحريرية. شعر أشقر متناثر بفعل الهواء الهائج. وفستانها الأزرق الباهت يتلصق بمنحنيات جسدها. عادت نظرات سينتيا الى وجه المرأة مرة أخرى. فتعبيرها الصافي على وجهها مرتكز على عينين ساحرتين، كان هناك شيء مألوف في هذه المرأة، يا للعجب، إنها هي!

لا بد أنها شهقت عالياً لهذا الإدراك لأن ستيفان

استدار بحدة، وتجمدت نظراته ليضع ثوان عليها، وهز رأسه منزعجا من نفسه قائلا:«تبا! لقد فعلتها من جديد، أليس كذلك؟» وقف بغير توازن وهو يمسح الطلاء عن يديه بمنديل وكأنه يفعل هذاللمرة الأولى اليوم. فلقد بدا ان هذا المنديل كان ابيضٍ من قبل. لقد كان الدهان على قميص ستيفان ايضا.

أدركت سينتيا أنه كان يعمل في هذا الرسم قبل ان يأتي ليقابلها. هذا كان سبب نسيانه للموعد. والمرأة في الرسم كانت هي. كانت متأكدة من أنها هي.

رأى ستيفان الإرتباك على وجهها عندما عبر الغرفة ليقف أمامها:«نعم انها انت... إنه سبب تأخري عن لقائك هذا المساء.»

اومأت له بذهول وكانت لا تزال تحملق في الرسم امامها وقالت له:«كنت مشغولا بالعمل عليها.»

«انني كذلك منذ عدت الى المنزل مساء أمس. ولكن لم يكن هذا فقط.» أمسكها من كتفيها بنعومة وازداد تعبير وجهه عمقا:«عندما أعمل في الرسم يبدو لي الزمن كما لو أنه توقف. وعندما أخبرتك إنني نسيت موعدنا لم أكن أقصد ذلك إنما الوقت قد انساب بسرعة مني، لقد كنت اتشوق لرؤيتك من جديد منذ ان تركتك ليلة أمس. الرسم هو حياتي يا سينتيا، لم أرغب في أي شيء آخر ولم أفعل أي شيء آخر منذ ان وعيت على الدنيا.» كان يتكلم بسرعة ويأس لكي يجعلها تفهم ما يعني. صمت لحظة وأضاف:«كنت

راضياً وحتى مسروراً في بعض الأوقات. لم أخسر صدقيني فأنا انتقد نفسي! ولكن ليلة أمس عندما استطعت الهرب من الحفلة، كنت ملهما، كنت أعلم أن عليّ ان ارسمك.» نظر الى الرسم واستطرد:«إنه جيد، يا سينتيا.» ولمع وجهه برضى كونه قال الحقيقة.

لم تستطع سينتيا الجدال. كان الرسم جميلاً ولكن ماذا يعني؟ لماذا رسمها ستيفان بتلك الطريقة؟

قال:«إنني أحضر هذه الرسومات لمعرضي الذي سيجري في الصيف القادم. وكنت في حاجة الى شيء خاص ليكون موضوعي الرئيسي للمعرض.» نظر الى الرسم مجددا:«هذا الرسم سيكون الموضوع الرئيسي.»

أشاحت سينتيا نظراتها عن الرسم الجذاب ونظرت الى ستيفان الذي أصبح مستغرقا مرة اخرى في الرسم. كان من الواضح، إنه رسم يستحق إسم (شيء مميز)، وهذا ليس له علاقة بأن ستيفان قد رسمها لتبدو جميلة. كان هناك سحر خاص في كل عمل له ولكن هذه...!

لم تشك سينتيا للحظة بأن المعرض سيكون ناجحاً وأن إسم ستيفان ثورنتون الفنان، سيعرف عالميا ويضاهي إسم ثورنتون في عالم الاعمال.

قالت بخجل:«إنني سعيدة لأن لقاءك بي قد منحك هذا الإلهام.»

التفت لينظر إليها مبعداً أثر الرسم الآسر، وابتسم

www.elromancia.com

ابتسامة دافئة زينت وجهه الجميل، أمسك بكتفيها مرة أخرى وقال:«لقد أعطاني أكثر من مجرد الرسم يا سينتيا، لقد أعطاني المرأة التي سأتزوج منها.»

شعرت بأن كل الأنفاس قد خرجت من رئتيها وجف حلقها وكل عضلة في جسمها قد توترت غير مصدقة. ألم يقل حقيقة انه...

«الحظ، يا سينتيا.» ذكرها بتشويق ضاحكاً بسبب تعبير وجهها الجامد.

قال:«لم أكن أتكلم عن الإلهام للرسم فقط. إنه لقاء المرأة التي أردتها ان تكون زوجتي هو الذي أعطاني الإلهام!»

صرخت به:«أنا.» لا تستطيع تصديق هذا الرجل. فهو من عائلة ثورنتون من جهة، ورجل من المفترض ان يكون بين أشهر الفنانين من جهة أخرى. ويريد الزواج منها...؟

لم يكن يعرف عنها شيئاً فسنوات عمرها الأولى قضتها في الميتم وسنوات عمرها الأطول في بيوت الرعاية والوقت الذي أمضته بعد ذلك قضته في الصراع من أجل تلقي بعض علوم السكرتاريا لتحظى بعمل مناسب.

عملها كموظفة استقبال في فندق ثورنتون كان الأكثر أهمية حتى الآن. والآن هذا الرجل الذي يملك نصف الفندق يخبرها انه يريد الزواج منها! أمر لا يصدق.

أكد لها:«أنت يا سينتيا سميث... وقبل ان يتم معرضي

الأول سأقنعك بالزواج مني.» وقد أقنعها من دون جهد. كان من المستحيل ان لا تقع في حبه وأن لا تكون هناك حين يحتاجها. وقد أمضى الإثنان كل ثانية متاحة لهما معاً منذ الليلة الأولى، ومن أجل ان تتأكد من أنه لم ينس تناول الطعام عندما يستغرق في رسوماته. فقد ذهبت في تلك الليلة وأحضرت وجبة طعام صيني الى المنزل وأمضيا الليلة معاً. ومع نهاية شهرهما الأول انتهى رسم سينتيا كما أراده ستيفان ووضعت سينتيا خاتم الخطوبة. وهي تعرف جيداً ما جرى لخاتم خطوبتها العقيق مع الماس. لقد أعادته إليه بعد بضعة اسابيع.

لكن ماذا حدث لرسمها؟ والرسومات الأخرى التي أتمها في محترفه أيضاً؟ إذ لم يكن هناك أي معرض لأعمال ستيفان في ذلك الصيف، ولا أي صيف آخر، كما تعي سينتيا، وكانت تبحث عن لوحات ستيفان ثورنتون خلال الاعوام التالية وتتمنى لو ترى أياً منها من جديد ولكن لم يكن هناك أي عرض لرسوماته ابداً.

ماذا حدث لستيفان؟

www.elromancia.com

الفصل الرابع

اخبرتها ريبيكا بوهن:«يمكن ان يكون ستيفان صعبا.»

فكرت سينتيا أنها ليست في حاجة لأن تعرف ذلك. متذكرة حديثها الأخير معه والذي لن تستطيع ان تخبره الفتاة عنه.

التقت الفتاتان كما خططتا، وحالما طلبتا الطعام شرعت ريبيكا في التفسير لسينتيا لماذا فكرت أنه من الأفضل التكلم معها عن السر الكامن في ما يتعلق برغبتها بعدم التسرع بترتيبات الزفاف.

استمعت إليها سينتيا بهدوء خلال تناول الحساء، مدعية مرة أخرى ان هناك الكثير من الوقت حتى يحين موعد الزفاف. وأنه ما من داع لإرسال البطاقات خلال الأسابيع القادمة وان ريبيكا تعرف أي نوع من فساتين الزفاف تريد وفساتين فتيات الشرف ايضا، وكل هذا يمكن القيام به قبل موعد الزفاف بفترة قصيرة. الى جانب ذلك، فريبيكا تريد تخفيض وزنها قبل الزفاف، فإذا ما أعدت الفستان الآن سيختلف قياسه عليها.

نظرت سينتيا إليها، لم تكن الفتاة ذات الجسد المتناسق في حاجة لأن تخفض من وزنها. كما فكرت ان أيا من هذه الأسباب ليس له علاقة بطلبها تأجيل تحضيرات

الزفاف. ومع ذلك فإن سينتيا ما تزال تتمنى لو ان البستاني الشاب لا يكون السبب الحقيقي لتردد ريبيكا في تحضيرات الزفاف.

طلبت ريبيكا كتمان هذا الحوار عن ستيفان، إحمر وجهها وأصبح كلون شعرها. «إنه لن يتفهم حاجتي الى التمهل. سوف يعتقد ان ترددي في الزواج منه هو السبب في التأخير.» ولم تستطع النظر في عيني سينتيا المتعاطفتين معها.

استفسرت سينتيا بنعومة:«وهل يمكن ان يكون كذلك؟»

عارضتها ريبيكا على الفور:«طبعاً لا... لقد اخبرتك بالأسباب التي تدفعني الى عدم التسرع.» أخذت تسحق قطع الخبز بغضب غير واعية أنها تفتتها. «ستيفان رجل رائع وهو يهتم لأمري كثيراً.»

«وأنت؟» راقبت سينتيا الفتاة الأصغر سناً بحدة. لقد كان هناك خطأ ما، ما تدعيه ريبيكا عكس ذلك، لم يكن له أهمية. تابعت:«وهل تهتمين له كثيراً في المقابل؟»

قالت ريبيكا مدافعة عن نفسها:«ولماذا اتزوجه إذا؟» لماذا إذا بالتأكيد؟ شعور سينتيا بعدم الارتياح من الوضع كله قد ازداد بحديثها مع ريبيكا. لم تكن تثق بالأمر. ولم تشك للحظة في ان ريبيكا تهتم لأمر ستيفان، من جراء نبرات صوتها المتهدجة. ولكن هل اهتمت له كما تهتم العروس بالرجل الذي سوف تتزوجه بعد أربعة أشهر؟

www.elromancia.com

هذا هو السؤال. ولكن سينتيا لم تكن في موقف يسمح لها بطرحه دون ان تجرح الفتاة، وهي قبل كل شيء إحدى زبوناتها.

شملت ريبيكا بابتسامة دافئة، محاولة جهدها لكي تهدئها عندما انتهتا من تناول الحساء، وبدأتا بتناول الوجبة الرئيسية، وقد لاحظت سينتيا مدى ضعف شهية ريبيكا. وتساءلت، هل شهيتها للطعام ضعيفة هكذا دائما أم أنه الضغط الذي تعاني منه؟

تنهدت ريبيكا:«انه ليس ستيفان فقط، أبي ايضاً سوف يشعر بخيبة أمل لو...» بدت تعيسة وهي تقول:«إنهما من أعز الإصدقاء.»

هذا تماما ما ادعاه جيرالد عن ريبيكا وستيفان! ولكن ما من أهمية لقول جيرالد، فعلى العكس فإن الناس الذين هم أصدقاء فقط، ليس عليهم حقيقة أن تنتهي علاقتهم بالزواج، وخصوصا عندما تكون الفتاة متورطة مع بستاني شاب هو السبب الرئيسي لتردد ريبيكا في البدء بترتيبات الزفاف.

أشارت إليها بجفاء:«والدك ليس هو من سيتزوج من ستيفان.»

ردت ريبيكا بابتسامة واهنة على محاولة سينتيا ابداء المرح:«كلا عندي انطباع واضح بأن اهتمام والدي منصب في مكان آخر.»

ربما كانت عواطف ريبيكا مضطربة، ولكن هذا لم يمنعها من ان تعي حقيقة ما يجري في حياة والدها!

ولقد قلبت المعايير على سينتيا، ربما كانت هذه الفتاة هي الزوجة المناسبة لستيفان فقد كانت بالتأكيد تعرف كيف تتصرف في الأوقات الصعبة.

احمر وجه سينتيا:«لقد تناولنا انا ووالدك العشاء مساء أمس، نعم، ولكن...»

بدت ريبيكا مرتبكة:«لم تخبريه أننا سنلتقي اليوم. هل فعلت؟»

أكدت لها سينتيا:«كلا.» وأضافت بنعومة:«مع انني اعتقد انه ربما عليك...»

نظرت إليها الفتاة بقلق:«لماذا؟»

اجابت سينتيا برقة:«اعتقد انك تعرفين لماذا، يا ريبيكا؟» ثم استفزتها بخفة مضيفة:«لا تمانعين بأن ادعوك ريبيكا، هل تمانعين؟»

«حسنا، بما انك تلتقين بوالدي ربما...»

اخبرتها سينتيا بحدة:«أنا لا اخرج مع والدك، يا ريبيكا.» صممت على ان تكون في موقع المدافع عن نفسها أمام ريبيكا التي حاولت عمدا افتعال هذا التصرف انتباه سينتيا عن الموضوع الحقيقي، الموضوع الذي تجادلتا حوله طوال وقت الغداء. وكان من الواضح اهتمام واحترام ريبيكا لستيفان ولكنها لا تريد الزواج منه بالتأكيد.

«خرجت معه مرة لأنني وعدته بذلك، ولكنني لا أنوي ان أعيد الكرة.»

حملقت ريبيكا من جراء تأكيد سينتيا وبابتسامة عاتبة

www.elromancia.com

اضاءت فجأة قسماتها الجميلة، قالت:«لا بد ان هذا كله مفاجأة لأبي.»
اجابت سينتيا:«اعتقد أنها كذلك.»
هزت ريبيكا رأسها قائلة:«مسكين أبي.»
قالت سينتيا برزانة وهي تنحني عبر الطاولة لتلمس يد ريبيكا:«اتصلي بي إذا قررت ان أمضي في هذا الأمر... اتفقنا؟»
احمر وجه ريبيكا:«ماذا تعنين بذلك؟»
اجابت سينتيا وهي تأكل السلطة:«ريبيكا، لقد أحببت منزل والدك.» وقد لاحظت من تعبير ريبيكا انها لم تكن متأكدة من هذا التغيير في الموضوع. «فغرفة الجلوس التي كنا فيها في غاية الأناقة، ومريحة جدا ايضا، مع ذلك المنظر الرائع للحديقة.»
وافقتها ريبيكا بذهول:«نعم إنها مريحة، أنا، آه، لا...»
لمعت عيناها وطأطأت رأسها كي لا يرى أحد في المطعم دموعها. تمتمت برثاء:«هل رأيت؟»
«رأيت سيدة المنزل الصغيرة، تذهب الى البستاني هذا كل شيء.» وأكدت سينتيا لها بلطف:«اريد فقط ان تدركي انني لست في عجلة من أمري كي ابدأ بترتيبات زفافك. ولكنني سأكون سعيدة بمساعدتك في تحديد شخصية العريس.» اضافت برقة:«بعد كل شيء، إنه ليس بسبب الزفاف فقط أليس كذلك؟ هناك بقية عمرك القادمة التي تهم.»
اخذت ريبيكا نفسا متقطعا، مسحت الدموع عن

عينيها بثبات ورفعت كتفيها بشدة وأمسكت بشوكتها لكي تسرع بتناول الطعام وقالت لسينتيا:«شكرا لك.»
لم تستطع سينتيا إلا ان تعجب بالفتاة. فهي تعجبها! لم تعتقد انها تستطيع قول ذلك عن امرأة قرر ستيفان ان يتزوجها. ولكن كان هناك شيء مميز في ريبيكا، لقد ايقظت مشاعر الأمومة في قلب سينتيا، وهذا ما ادركته. ولكن، كيف لها ان تشعر بالأمومة تجاه عروس ستيفان؟ لقد كان ذلك في غاية السخف!

* * *

قال ستيفان:«كيف كان عشاؤك مع جيرالد البارحة؟»
نظرت سينتيا بارتياب الى ستيفان بينما كانت تجلس الى الطرف الآخر من مكتبه.
كان لدى سينتيا الكثير من العمل لتنجزه بعد عودتها من الغداء مع ريبيكا فقد كانت تحضر قائمة الطعام للعشاء في الاسبوع القادم، وبينما هي مستغرقة في عملها تلقت اتصالا من مكتب ستيفان وقد أعلمتها سكرتيرته ان ستيفان يريد مقابلتها إن لم يكن لديها مانع.
إذا لم يكن لديها مانع! يبدو ان ستيفان وريبيكا يظنان ان لا عمل لديها سوى اللحاق بهما. يبدو انهما مقتنعان بأن لا زبائن آخرين لديها! ولكنها تذكرت ان ستيفان قد رأى جدول اعمالها عندما زارها يوم أمس، لا بد أنه لاحظ أنها لم تكن لديها أعمال كثيرة

www.elromancia.com

للأسابيع القادمة. مع ان في فترة ما بعد الأعياد تقل أعمالها ثم تعود وتتحسن في حزيران- يونيو، لكن هذا ليس سببا وجيها لستيفان كي يفترض انها تستطيع ترك كل شيء والذهاب الى لندن لمقابلته.

ولكن سكرتيرته المهذبة أخبرتها بوضوح ان السيد ثورنتون لا يستطيع ان يذهب بنفسه للقائها، ذلك أنه في اجتماع الآن، ولا تتوقع ان ينتهي منه قبل الساعة الخامسة، مما يعني ان سينتيا لا تستطيع التكلم معه لتعرف ماذا يريد!

انهت سينتيا المكالمة مع السكرتيرة، على ان تلتقي ستيفان في الساعة الخامسة والنصف.

امضت فترة الظهيرة بعد ذلك غير قادرة على التركيز على ما تفعله. ولو لم يكن ستيفان في اجتماع عمل، لذهبت لمقابلته في الحال ولكنه لا يستطيع رؤيتها إلا بعد الساعة الخامسة.

لقد تمنت لو أنها لم تلتق بجيرالد هاركورت في ذلك الزفاف، ولم تسمع بإبنته وبالتأكيد لما التقت بستيفان مرة اخرى، خصوصا ان سبب طلبه رؤيتها، هو ان يسألها كيف جرت الامور بينها وبين جيرالد ليلة أمس، وهذا ليس من شأنه!

كانت تقف بعدم ارتياح وهي تحس بحذائها يغرق في السجادة الزرقاء الباهتة. وبدا ان المكاتب الرئيسية في صناعات آل ثورنتون تتمتع بكل وسائل الرفاهية.

لم تذهب سينتيا الى هناك من قبل. فالمكتب لم يكن بين

الأماكن التي كان يهتم بها ستيفان، إلا أنها تعترف بأنه يبدو قاسيا ومتغطرسا مما يجعله مناسبا لعالم الأعمال أكثر من كونه فنانا مبدعا، مع أنها كانت لا تزال تشعر بالحزن لفقدانه.

هذا لن ينفع. وقد عادت بأفكارها الى ستيفان القاسي والمتغطرس. ومن الافضل لها ان تتذكر هذا.

سألته بخفة:«لماذا أردت رؤيتي يا ستيفان؟» لم يكن مزاجها صافيا بعد ان اضطرت للمجيء الى لندن للمرة الثانية اليوم.

مال الى الوراء على كرسيه الجلدي، وضاقت عيناه وبدا في سترته الكحلية وقميصه الأبيض وشعره المسرح الى الوراء بصلابة، أنه في الخامسة والثلاثين، من الواضح أنه رجل أعمال ناجح.

لوى فمه بقسوة:«ألن تجيبي عن سؤالي عن موعدك مع جيرالد؟ لقد بدا على غير عادته هادئا، مما يعني أمرا واحدا من إثنين...»

لقد تمكنت سينتيا من الكلام:«هل سألت جيرالد عن موعده معي؟» وقد ارتابت كثيرا في بادىء الامر في ان تقول أي شيء.

قال ستيفان:«اما انكما فشلتما الى درجة انكما لن تكررا اللقاء او انكما اصبحتما متحابين.» قسا صوته وضاقت عيناه:«وفي كلا الحالتين ، فإن جيرالد المهذب لا يطلع احدا على أموره مع النساء. وهكذا فهو لن يخبرني ويخبر أي شخص آخر عما جرى.»

www.elromancia.com

اجابت بحرارة:«انه امر مؤسف، لا يمكن قول الشيء نفسه عنك!»

لم يتحرك ستيفان، كان متوتراً، إلا انه لم يكن هكذا منذ بضع دقائق فقد كان هادئاً. كان صوته ناعماً بشكل خطر:«ماذا تعنين بذلك؟»

رمقته سينتيا متهمة إياه:«من الواضح انك لا تشعر بالندم لمناقشة أمري معه.» وتحدته مدافعة:«او انك لا تعتبرني سيدة؟»

منذ سبع سنوات كانت حبيبته، بعد معرفة دامت عدة أيام فقط. ربما يعتقد انها عرفت عدة رجال من بعده. كان ستيفان الرجل الذي أحبته ولكن حبها لم ينجح، وبدلاً من ذلك اخذت ترتب أفراح الآخرين.

قال ستيفان:«انا لم اتكلم عنك مع جيرالد في أي وقت.» كان صوته هادئاً تماماً:«ولكن على ضوء هذه الظروف يبدو الأمر غامضاً خصوصاً وأننا قد تناولنا غداء عمل مع بعضنا اليوم ولكنه لم يأت على ذكر موعده معك ليلة أمس.»

ارتاحت سينتيا مع انه كان من العسير عليها التفكير بأن ستيفان وجيرالد تناولا الغداء معاً بينما هي وريبيكا كانتا تفعلان الشيء نفسه. من حسن الحظ أنهم لم يقرروا تناول الغداء جميعاً في نفس المطعم. ألم يكن من شأن ذلك ان يجعل لقاءهم مثيراً؟

قالت ببرود:«ربما تناول العشاء معي هو بالتحديد أمر لا يجدر به ان يذكره.»

تأملها قائلاً بهدوء:«اشك في ذلك.»

نظرت إليه سينتيا بحدة ولكن تعبيره بقي غامضاً. ولم تستطع ان تخمن بماذا يفكر، وتنهدت، فلقد كان ضغط الرحلتين الى لندن اليوم مرهقاً لها. قالت:«هل تستطيع ان تقول لي لمَ انا هنا، في الوقت الذي يجب ان اكون فيه في المنزل أتناول العشاء وأرتاح بعد ذلك خلال عطلة الاسبوع؟» فبعد هذين اليومين كانت تشعر بحاجة ماسة الى الراحة.

رد عليها ستيفان:«همم، يبدو مغرياً.» وتجهم وجهه مما أعطاها انطباعاً بأنه يفعل أي شيء عدا الراحة في عطلته.

لوت فمها قائلة:«انا متأكدة من ان رئيس صناعات آل ثورنتون يستطيع فعل الشيء نفسه إذا ما أراد ذلك.»

سألها ستيفان:«هل انت كذلك؟» تنهد ثم تابع:«أنا لست متأكداً الى هذا الحد مع احتمال انني سأحصل على بعض الوقت للراحة في هذه العطلة.» وقطب جبينه فجأة ثم قال:«بعد ان ذهبت ريبيكا لبضعة أيام.»

«انا متأكدة انك... هل ذهبت ريبيكا؟» تمنت سينتيا ان يبدو صوتها طبيعياً وفضولياً كما أرادته ان يكون.

لم تذكر لها ريبيكا شيئاً عن ذهابها. ربما كان قرارها مفاجئاً كي تتسنى لها فرصة التفكير جيداً قبل الارتباط بهذا الزواج، وهذا الرجل، تمنت سينتيا ذلك بإخلاص. فريبيكا ما زالت صغيرة لترتبط بزواج لم

www.elromancia.com

تكن متأكدة منه مئة بالمئة، مع انها شكت بأن ستيفان سيرى الأمر بنفس الطريقة خصوصاً إذا كان للأمر علاقة بما قالته سينتيا للفتاة، مما جعلها تعيد التفكير في هذا الموضوع. قد تكون مخطئة كلياً بالموضوع، وربما ستعود ريبيكا وقد أدركت كم هي محظوظة بالزواج من شخص مثل ستيفان. وبعد كل شيء يبقى السؤال عن ذلك البستاني...

قال ستيفان:«هذا ما أردت ان اكلمك عنه. كانت ريبيكا تحت ضغط شديد خلال الأشهر الماضية بسبب خطوبتنا وأمور اخرى.» وأكمل بخفة:«إذا كانت لديك أي اسئلة عن ترتيبات الزفاف في الأيام القادمة القليلة ربما تستطيعين المجيء إليّ؟»

قالت لستيفان بنفاد صبر:«انا لا أعمل عادة خلال عطلة نهاية الاسبوع، كان في إمكانك قول كل هذا عبر الهاتف.» وتنهدت عندما ادركت ان رحلتها الثانية اليوم كانت مضيعة للوقت. تناولت حقيبة يدها استعداداً للذهاب وقالت:«ربما كان عندك وقت لتضيعه، يا ستيفان، إنما انا...»

امرها ستيفان:«اجلسي.» انحنى على مكتبه وكل مظاهر الإسترخاء قد اختفت. «انا ايضا لا املك وقتاً اضيعه.» ثم تابع بقسوة:«ولم أكن كذلك ابداً.» مكملاً بهدوء ما كان يقوله في ما يتعلق برسوماته.

تذكرت سينتيا متألمة:«ماذا حدث لك؟»

في هذا المكتب بعض الرسومات الحديثة، ولكن حتى

بنظرة خاطفة لاحظت ان اياً منها لم تكن من رسومات ستيفان. فسألته:«لمَ لم تعد ترسم يا ستيفان؟» وعندما اكفهر وجهه عرفت انه ما كان عليها طرح مثل هذا السؤال. ولكنها أرادت ان تعرف.

«لقد سبق ان اخبرتك، انا لا املك وقتاً لأضيعه.»

شهقت سينتيا:«لم تكن رسوماتك مضيعة للوقت.»

ضاقت عيناه وقال:«وماذا تعرفين عنها؟»

شحبت وبلعت ريقها بصعوبة. لم يكن قاسياً في الماضي، إنما ادركت الآن أنه اصبح في منتهى القسوة. وأنه تعمد ان يهينها وقدنجح في ذلك:«من الافضل ان أذهب.»

قال بنفاد صبر:«لم أنته بعد، لا نزال نتأثر بالماضي وهو شيء آخر اردت مناقشته معك عدا عن الامور التي نتباحث فيها باستمرار.» وبدا متجهماً. ثم تابع:«لقد أدركت بعد ان تركتك البارحة وبعد ان أعدت ترتيب افكاري...»

قالت:«لقد تصرفت بشكل لا يطاق!» وهي تستعيد وعيها من إهانته. فهي لن تسمح لنفسها بأن يدمرها هذا الرجل مرة اخرى.

قال باستخفاف:«ذلك اننا لم نناقش أمر اخفاء ماضينا عن ريبيكا. طبعاً هي تعرف خطوبتي لفتاة اخرى منذ سبع سنوات.» تجمدت نظراته وهو يقول:«كان من غير المجدي إخفاء الأمر عنها.»

قالت سينتيا بازدراء:«بالطبع لا، مع انه ما كان من

www.elromancia.com

الواجب إخبارها. فلقد كانت هناك قلة من الناس الذين عرفوا بأمر خطوبتنا.»

اتهمها ستيفان بقسوة:«وغلطة من كانت.»

غلطتها اعترفت بذلك. فمع انها كانت اكيدة من حب ستيفان لها، إلا أنها لم تكن متأكدة بشأن ثروته، مع انه كان يحاول تجاهل ثروته معظم الوقت وأنه من آل ثورنتون وعرف طفولة مميزة أكثر منها، ولم يعرف كيف يكون شعور المرء عندما يريد شيئا ما بقوة وعندما يحصل عليه، يخاف من فقدانه، حب ستيفان كان هكذا بالنسبة إليها.

وعندما استعادت الماضي تبين لها انها كانت حكيمة في الإنتباه الى أي خطوة قاما بها معا، ولكن لم يحدث ذلك. تنهدت بثقل:«هذا كله اصبح من الماضي يا ستيفان.»

اومأ بجفاء:«لا استطيع ان اضيف أكثر.» وأضاف محذرا:«وأريد الأمر ان يبقى هكذا.»

اخبرته سينتيا مؤكدة:«إعتبر أني نسيت.» مع علمها انها لم تنس ذلك. ومن تعبيره الغاضب عرفت أنه لن ينسى ولكن لدوافع مختلفة عن دوافعها. «والآن أنا...» وتوقفت فجأة عندما فتح باب وراءها.

منذ ان توجهت الى المكتب في الخامسة والنصف كانت أغلبية الموظفين يغادرون، وقد أمر ستيفان سكرتيرته بالمغادرة. إذا من كان هذا الذي دخل دون ان يعلن عن نفسه بمثل هذه الألفة؟ نظرت سينتيا نظرة واحدة

الى الباب وعرفت على الفور من له الجرأة على القيام بعمل كهذا. انها باربرا.

لقد مرت سبع سنوات منذ آخر مرة رأت فيها هذه المرأة، ولكن تستطيع التعرف الى باربرا الجميلة في أي مكان، شعرها ما زال أسود ولكنه أقصر من قبل وقسماتها الرائعة ما زالت فتية على الرغم من أنها في الثالثة والثلاثين الآن. كانت ترتدي فستانا أسود. يظهر كل البراعة والأناقة التي تعلمتها من خلال السنين التي عاشتها كعارضة من الطراز الأول. نعم، سينتيا تستطيع التعرف الى باربرا الجميلة في أي مكان.

قالت المرأة الأخرى من دون ان تعني حقيقة الاعتذار:«آسفة يا ستيفان. لم ادرك ان معك شخصا آخر.» وابتسمت لسينتيا ابتسامة عابرة، ففي النهاية هذه المرأة لم تكن لتتصرف بطريقة افضل حتى لو ادركت ان ستيفان برفقة أحد ما، كان من حقها ان تدخل الى مكتبه بغير استئذان. فكونها أرملة أليكس ثورنتون، منحها الحق بنصيب كميراث لها في صناعات آل ثورنتون، فربما كانت محقة في ذلك! ولكن كما تعرف سينتيا لم تكن باربرا في حاجة الى هذا النصيب لتشعر بمثل هذا الحق المكتسب في حياة ستيفان!

التفتت باربرا الى ستيفان وقالت:«أردت فقط تذكيرك بأن العشاء في الثامنة.» توقفت فجأة واستدارت بحدة

www.elromancia.com

نحو سينتيا وانقطعت انفاسها عندما امعنت النظر فيها:«أنت؟» اتهمتها بعينين خضراوين متسعتين من التذكر. لم يكن هناك أي استلطاف بينهما. فلقد عاملت سينتيا ببرودة بعد أن عرفهما ستيفان لبعضهما منذ سبع سنوات.

لم تنزعج سينتيا من تصرف المرأة الأخرى، فمنذ ان عرفها ستيفان الىالعائلة عرفت أنهم لن يستقبلوها بأيد مبسوطة، وأنها لم تكن الخيار الأنسب لستيفان، وأنها لا تصلح كزوجة لواحد من ورثة آل ثورنتون.

كانت، اثناءها تعمل موظفة استقبال في واحد من فنادقهم. ولم يكن لها عائلة، كما كان وضعها الاجتماعي عاديا. فكان من الطبيعي ان تعامل بغير ود، وقبلت سينتيا بذلك، اي بأن يعاملوها بحذر لبعض الوقت الى ان يتأكدوا انها أحبت ستيفان شخصيا وليس ماله.

لم يأبه ستيفان لما قالته عائلته. فقد أخبرهم بأنه سوف يتزوج منها وهذا ما ينوي فعله، إذا وافقوا عليها أم لم يوافقوا. فقط باربرا تصرفت بعدوانية تجاه سينتيا منذ النظرة الأولى، وعرفت سينتيا من نظرتها الآن ان ذلك الشعور لم يتغير قط. ولكن سينتيا كبرت سبع سنوات الآن.

لقد وبخت نفسها لهذه المشاعر، لقد أصبحت سيدة أعمال الآن حتى لو ان اعمالها أقل بكثير بالنسبة لمقياس صناعات آل ثورنتون.

قابلت نظرة المرأة الأخرى بثبات مدركة ان باربرا وإن كانت لم تتغير كليا، فهي قد تغيرت الى حد ما. ولن تسمح لنفسها بأن تخاف من أي فرد من هذه العائلة القوية، الى جانب ذلك كانت قد أدركت منذ حوالي يومين انها سوف تلتقي باربرا من دون شك. لم تعجبها الفكرة ولكنها عرفت ان ذلك لا بد ان يحصل.

بدت باربرا مذهولة لرؤيتها بعد كل هذا الوقت. حيتها بجفاف:«باربرا.» وأضافت بخفة:«تبدين بخير.»

«أنا!» وقطعت باربرا كلامها، مرتابة في رباطة جأش سينتيا، وأدارت عينيها اللامعتين الى ستيفان:«لم تخبرني انك وسينتيا التقيتما مجددا.» ووجدت صعوبة في ضبط نبرة صوتها الحادة لكي لا تبدو وكأنها تتهمه. باربرا وكلوديا والدة ستيفان أصرتا في الماضي على استعمال اسم سينتيا بالكامل ما ان علمتا ان سين هو تصغير لسينتيا، وادعتا انهما لا تحبان تصغير الأسماء، واسم سين يدعو للإرتياب! لم يعجب ستيفان ذلك، ولكن لم تشأ سينتيا ان ينشأ خلاف بخصوص ذلك مع انها كانت تجفل في كل مرة ينادونها باسم سينتيا، كان يذكرها بسنواتها الطويلة في الميتم. كم كانت تتق بسذاجة في ذلك الوقت، فهي لا تستطيع الآن ان ترى الى ما كانت تهدف إليه المرأتان القويتان. فقد أرادتا بقاءها بعيدا عنهما، وليشعراها بأنها غير مرغوب بها بينهم.

أخبرت المرأة الاخرى:«إسمي سينتيا او آنسة سميث.»

www.elromancia.com

قبل ان تلتفت الى ستيفان مجدداً، ستيفان الذي جلس ينظر الى كل منهما بعينين متقاربتين ربما بانتظار ان يراهما يمزقان أعين بعضهما البعض.

قالت ببرودة:«اعتقد ان أمورنا سويت الى اليوم.» وعلمت من حركة فمه وعينيه المتقاربتين ان ذلك نذير سوء، إذ أن ما قالته لم يعجبه اطلاقا.

قالت باربرا بحدة:«عمل؟ ما هو نوع العمل الذي يمكن ان يجمعكما؟»

قاطعتها سينتيا بنفاد صبر:«علي حقاً الذهاب.» متضايقة من هذه العائلة التي تفترض ان لا عمل لديها هذه الليلة سوى الوقوف والإستماع إليهما. اضافت عندما رأت عيني ستيفان تتساءلان:«يجب ان أذهب الى المنزل.» وأخبرت المرأة الأخرى بجفاء:«لقد كان من المثير رؤيتك مجدداً يا باربرا.»

بدت باربرا مذهولة من هذه المواجهة وقالت بارتياب:«مثير؟ ستيفان أنا لم...»

قالت سينتيا وهي تغادر الغرفة:«الى اللقاء.» لكنها وجدت نفسها تتوقف فجأة عندما امسكت يد أليفة بذراعها سائلة ستيفان باستغراب عندما استدارت في المشى:«ماذا تريد الآن؟» ومنتبهة الى نظرات باربرا في المكتب.

نظر بتمعن الى وجهها الشاحب وسألها عاقداً حاجبيه:«هل تتناولين العشاء معي الليلة؟»

فتحت سينتيا عينيها وعبست:«ولكنني اعتقدت ان

باربرا قالت إنكما ستتناولان العشاء معاً الليلة.»

«لقد عملنا الترتيب منذ ساعة.» وتمتم بكسل:«لست مجبراً على الذهاب.» لقد علم بعد الظهر فقط ان خطيبته ستغيب عن المدينة لبضعة أيام ولكنه قام فوراً ببعض الخطط مع باربرا. لم يتغير أي شيء كما يبدو.

اجابت باحتقار:«أنا لن اتناول العشاء معك حتى لو كنت أموت جوعاً.» ونزعت يدها بقوة، قائلة بقرف:«إرجع الى باربرا، فكلاكما يناسب الآخر.»

«سينتيا...»

«دعني وشأني يا ستيفان.» انذرته نبرة صوتها بأنها سوف تقوم بعمل جسدي مدمر إذا لم يفعل، فتركها فجأة... مع انها كانت مدركة لمراقبة باربرا لها بينما عبرت الممشى بخطى واسخة لتصل لى المصعد، وضغطت على الزر بقسوة، ثم دخلت المصعد ما ان فتح بابه، تلاقت نظراتهما قبل ان يغلق الباب بصمت وتنزل الى اسفل المبنى بهدوء. تمنت سينتيا لو ان افكارها تتناسق بمثل هذا الهدوء. لم تكن تستطيع ان تحتمل ستيفان وباربرا!

منذ سبع سنوات فسخت سينتيا خطوبتها من ستيفان. وهي متأكدة من حقيقة أنه على علاقة بباربرا وأنهما كانا كذلك منذ الأيام الأولى لزواجها من أليكس. وباتت متأكدة الآن انهما ما زالا على علاقتهما القديمة على الرغم من خطوبته لريبيكا. لو أنها علمت فقط الى أين

www.elromancia.com

ذهبت ريبيكا في عطلة نهاية الاسبوع لكانت لحقت بها وأخبرتها كم هي محقة بعدم زواجها من ستيفان وأن عليها إعادة خاتم خطوبتها. كما فعلت سينتيا ذات مرة.

الفصل الخامس

قال ستيفان:«أريد ان اعرف تماماً ما تعرفينه عن مكان ريبيكا.»

حاولت سينتيا ان تسيطر على انفعالها بعد ان فاجأها ستيفان بكلامه هذا، ما ان فتحت له الباب. لقد كانت تنتظر شيئاً من هذا القبيل طيلة اليوم، منذ أن افسد هدوء يوم عطلتها في الساعة العاشرة صباحاً عندما تلقت مكالمة هاتفية من ريبيكا هاركورت، تمنت وليس للمرة الأولى، لو ان رقم هاتف منزلها وهاتف عملها لم يطبعا على البطاقة التي أعطتها لريبيكا في لقائهما الأول، وإلا لما وجدت ستيفان يقف عند بابها.

دعته الى الداخل:«يحسن بك ان تدخل.» كانت خائفة حين تراجعت الى الوراء لكي يمر.

تمتم بنفاد صبر:«أنا.» وهو يتبعها الى داخل المنزل. وكاد رأسه ان يرتطم بإطار الباب المنخفض.

قال بقصد إذلالها:«لم أدرك انك تعيشين في منزل الأقزام السبعة!» وأخفض رأسه ليتفادى ارتطاما أخر.

ارتفاع الغرف القليل وضيقها كانا احد اسباب سينتيا الرئيسية التي ساعدتها على استئجار المنزل، فلم يكن هناك العديد من ذوي الأحجام الصغيرة ليشعروا

www.elromancia.com

بالارتياح للعيش هنا.. فلا يحبذ العديد من الرجال فكرة ان يتجولوا دائما منحني الظهر داخل بيوتهم.
بدا ستيفان مثيراً للسخرية، فطوله وحجمه جعلاه يبدو كعملاق داخل بيت الأقزام السبعة. ولم يكن هناك من رجال يدخلون الى هذا الكوخ. جلس بقلق على أحد المقاعد. وقد اخذت أرجل المقعد تهتز من ثقله، حتى الأثاث قد اختير ليناسب هذه الغرف الصغيرة. نظر الى سينتيا ونبهها بقسوة:«حسنا.»
نظرت سينتيا إليه، وكلاهما يرتدي ملابس عملية في هذا اليوم، وهذه الملابس هي وحدها القواسم المشتركة بينهما. كان وجه ستيفان مقطباً، لاحظت سينتيا ذلك بوضوح، كانت تعرف ما يريد قوله، ولكنها لم تعرف كيف ترد عليه ولم تكن تعرف مدى معرفته بأمر ريبيكا...
قالت بخفة:«لقد كنت على وشك تحضير فنجان من القهوة، هل تريد واحداً؟»
اجاب بحدة:«كلا. انا لم أت الى هنا لتناول فنجان القهوة يا سينتيا. لقد اتيت من أجل بعض الاجوبة. اخبرني جيرالد انك تلقيت هذا الصباح مكالمة هاتفية من ريبيكا، تطلب منك إبلاغه بألا يقلق بشأنها وأنها بخير ولكن قد تطيل غيبتها الى أكثر من بضعة أيام وأن الزفاف قد ألغي.»
كانت سينتيا لا تزال شبه نائمة، عندما ردت على جرس الهاتف في ذلك الصباح الباكر. وكانت قد

امضت ليلة مرهقة، وما زالت متوترة من تلك المقابلة مع ستيفان وباربرا في مكتبه. ولكنها استيقظت على الفور عندما عرفت ريبيكا عن نفسها عبر الهاتف، ومع ذلك لم ترد ريبيكا ان تفسح المجال لسينتيا بالتكلم. أرادتها فقط ان تصغي، وبعد ذلك تنقل الرسالة الى والدها. وعندما اعترضت سينتيا على الرسالة التي تلقتها، اقفلت ريبيكا الخط.
اندهشت سينتيا. ماذا عليها ان تفعل الآن؟ كانت تعرف امراً واحداً هو انه لم يكن في نية ريبيكا ان تتصل بوالدها وتتكلم معه بنفسها. إذاً، ان لم تتصل سينتيا به فسوف يشعر بالقلق حيال ما قد يحصل لريبيكا التي لن ترجع الى البيت بعد قيامها بزيارة صديقة الدراسة.
عندما يتصل بتلك الصديقة سوف يكتشف انها لم تذهب إلى هناك. لم تحب سينتيا الموقف الذي وضعتها فيه ابداً، وتمنت من جديد لو انها لم تسمع بعائلة هاركورت. ولكن بما انها سمعت بهم، وقد وثقت بها ريبيكا وكلفتها بمهمة اطلاع والدها على الأمر، لم يكن أمامها من خيار سوى الاتصال بجيرالد. ولقد صدم بما قالته. وأراد معرفة مكان ريبيكا، ولكن سينتيا لم يكن لديها أي فكرة عن مكانها. لم يأخذ ستيفان وقتاً طويلاً بعد ذلك لكي يقرر ان سينتيا تعرف اكثر مما قالت لهم.
هزت سينتيا كتفيها قائلة:«هذا ما اخبرتني به ريبيكا

www.elromancia.com

بالضبط لأخبر والدها.» وقطبت جبينها عندما أحست بأنها لم تف بالغرض. ولكن ريبيكا كانت مصرة على أنها لا تملك اكثر من ذلك لتقوله. وهكذا فما كان في استطاعة سينتيا ان تقول أكثر من ذلك.

نظر إليها ستيفان قائلا:«لماذا سينتيا؟ لماذا اختارتك ريبيكا انت بالذات دوننا جميعا! جيرالد هو والدها وأنا... انا كنت... خطيبها.»

اقترحت بخفة:«ربما لهذا اختارتني. انتما كنتما قريبين بينما انا...»

حثها ستيفان عندما ترددت:«نعم؟»

«انا ايضا لا اعرف لماذا اختارتني يا ستيفان.» لمعت عيناها وتابعت:«عليك ان تسأل ريبيكا عن هذا... ألن تفعل؟»

ذكرها بنعومة:«ولكنني لا استطيع. فهي ليست هنا، انت هنا!» وتمنت لو أنها لم تكن هنا! عرفت انها ستحصل متاعب بسبب تصرف ريبيكا، وحاولت ان تفكر ببعض الاجوبة التي تستطيع اعطاءها لستيفان لأنه سوف يأتي اليها ويسألها! ولكن في الحقيقة لم تكن تملك ايا منها، من دون ان تخون ثقة ريبيكا بها. ولم تكن لتفعل ذلك!

هزت كتفيها قائلة:«لقد اخبرتك بكل ما اخبرتني به.»

كان ستيفان يراقبها بعينين حادتين:«كل شيء!»

لم تستطع ان تنظر في عينيه. نعم لقد اخبرتهم كل ما اخبرتها به ريبيكا ولكن ليس كل ما تعرفه! وكان

ستيفان ذكياً الى درجة انه ادرك هذا. لم ترد ريبيكا عندما سألتها سينتيا ان كانت تفضل ان تبقى وحيدة من دون معرفة والدها عن مكانها. ولكن سينتيا كانت في غاية الشوق لمعرفة قدوم البستاني الشاب الى العمل يوم الإثنين صباحا. كررت سينتيا بحدة:«هذا كل شيء. ليس هناك شيء آخر استطيع اخبارك به.»

اخبرها وهو ينهض:«ولكنني ارفض هذا، سينتيا.» ومرة اخرى احنى رأسه لكي لا يرتطم بالسقف المنخفض:«اردت ان اتكلم معك بشأن ليلة أمس.»

اخذت سينتيا تكتشف ان الغرف الصغيرة في هذا المنزل لها مساوىء أخرى. فالمساحة الصغيرة جعلت ستيفان يبدو قريبا جدا ومسيطرا جدا بقامته الهائلة وخطرا الى درجة ما! يقال، ان وسيلة الدفاع الافضل هي الهجوم!

حسنا، إذا من الافضل لها ان تهاجم وبسرعة، لأن وسائل دفاعها بدأت تهتز!

سألته بازدراء:«لقد الغت خطيبتك للتو زفافها وتريد ان تتكلم معي؟ اعتقد انه عليك ان تتكلم مع ريبيكا.»

هز رأسه قائلا:«ولكنني لا اعرف مكانها بينما اعرف مكانك انت.»

بلعت سينتيا ريقها بصعوبة:«ليس عندي ما اضيفه بشأن ليلة أمس. في الحقيقة، ان الزواج قد ألغي.» فهي لن تتكلم عن باربرا ولن تعرض نفسها الى مثل

www.elromancia.com

ذلك التعذيب النفسي مرة اخرى! «ولا أرى أي سبب لكي يكون بيننا أي اتصال. إلا إذا غيرت ريبيكا رأيها بشأن الزواج. ففي هذه الحالة سوف أكون في غاية السعادة لكي اتكلم معكما من جديد.»

تذمرت عندما امسك بها فجأة وضمها الى صدره. قال وملامح وجهه تبدو صارمة:«إخرسي يا امرأة... إخرسي.» وزفر قبل ان يخفض رأسه ليقبلها. تمنت سينتيا لو انه يتوقف عن فعل هذا لأنها لاتستطيع مقاومته. لقد احبته، ذات مرة. ذات مرة؟ ما زالت تحبه. أدركت ذلك وهي تكاد تشعر بالغثيان. كيف يمكن ان يحصل هذا؟ كيف يمكن لها ان تستمر في حب هذا الرجل؟ هكذا الرجل الذي لم يكتف بخيانتها فقط وإنما بخيانة الفتاة التي كان على وشك الزواج منها؟ لم تعرف كيف، ولكنها عرفت فقط انها لم تتوقف عن حبه، فعلى الرغم من كل ذلك لقد أحبته! لقد كان السبب في انها لا تملك أي شعور يتعدى الإعجاب بأي رجل آخر.

انتزعت نفسها بعيداً عنه، وأصابعه مغروسة في ذراعيها ليمنعها من الحركة، وملامحه مذهولة عندما نظر إليها مستفهما فسألته بقسوة:«ماذا دهاك يا ستيفان؟ الا تستطيع ان تبقى من دون امرأة في حياتك لعدة ساعات!»

قال لها متعجبا:«ماذا...؟»

اتهمته سينتيا بقرف:«ذهبت خطيبتك في عطلة ليلة

أمس، فدعوت، لا امرأة واحدة فقط بل امرأتين لتشاركانك العشاء. واليوم عندما بدا ان ريبيكا طلبت الغاء الزواج لم تلحق بها، مدعيا ان حبك لها لم يمت وتقنعها ان مستقبلكما معا، أو... كلا. بل اتيت إلي. يبدو ان ريبيكا قد قامت باتخاذ قرار سليم!» كما فعلت هي... قالت لنفسها بغضب.

تركها ستيفان كأنما قد احترقت يداه وملامح الذهول استبدلت بغضب عاصف بينما هو يستمع لكلامها الجارح. ولكن سينتيا كانت أبعد من ان تهتم كيف يشعر حيال كلامها. هذا الغضب لم يكن من أجل ريبيكا فقط، بل من أجلها ايضا، من أجل كل الألم الذي سببه لها ستيفان وكل وجع القلب الآتي. فنسيان ستيفان هذه المرة أصعب بكثير من المرة الماضية!

قالت بكرامة متزنة:«والآن اخرج من هنا، اخرج وارحل عني.»

قال لها وفمه مشدود بقوة:«انت تغيرين الأمور لتناسب ما تؤمنين به.»

اجابت وعيناها تلمعان:«اريد ان أؤمن بأنك ستخرج من هذا الباب.»

«سينتيا...»

«لماذا لم تسأل نفسك لِمَ اريد ان اؤمن بهذه الأمور؟» تحدته وعيناها تلمعان بدموع متحجرة. لم تكن لتبكي أمامه. «هذا لأني لا اريدك هنا. انا لم أردك ابدا ان تكون هنا. انا لا اريدك.» وهذه الكلمة الأخيرة خرجت

www.elromancia.com

من فمها بقسوة شديدة لأنها أرادت ذهابه مع علمها أنها لا تستطيع منعه لو أراد البقاء. ولكن لِمَ عليه البقاء في مكان كان من الواضح أنه غير مرحب به فيه؟

لمعت عيناه بعدائية ظاهرة وتحجر وجهه للحظة قال:«علينا ان نتكلم.»

«ليس لدينا ما نقوله. إذهبِ وابكِ على كتف امرأة اخرى!» باربرا كانت دائماً حاضرة للإستماع الى متاعبه. وأي شيء آخر يختاره ليكلمها عنه.

توتر فم ستيفان:«كما أشرت الآن، انا لست في حالة يرثى لها بسبب الغاء الزفاف وهذا بسبب...»

«لأنك لم تحبها!» انهت سينتيا باتهام:«كنت اعرف ذلك... انت غير قادر على حب أي كان! لهذا السبب أنا...» وتوقفت عن الكلام لأنها كانت على وشك الإعتراف بأنها شجعت ريبيكا على التفكير بجدية قبل ان تورط نفسها بزواج لم تكن واثقة منه، بدا ان هذا هو العذر الذي يريده ستيفان لكي يمزقها اربا.

قال ستيفان برقة:«نعم.»

لم تعد وجنتاها شاحبتين، واستبدلت كلماتها مدافعة عن نفسها:«لهذا السبب لم اتزوج منك منذ سبع سنوات.»

لاحظت في عينيه المتحجرتين أنه كان غاضباً جداً، حسناً، هي ايضاً غاضبة من طريقة تفكيره بأنه يستطيع الرجوع الى حياتها...

قال بقسوة:«حسناً ياسينتيا، سوف أذهب، ولكن إذا ما اكتشفت ان لك علاقة بهروب ريبيكا فسوف...»

لم تكن سينتيا تعرف ماذا بالضبط سيفعل بها لو أنها تكلمت مع ريبيكا! لأنه استدار في تلك اللحظة بخطوات سريعة نحو الباب وبدا واضحاً انه نسي أمر السقف المنخفض.

عندما ارتطم رأسه بذلك الإطار، علقت قدمه ايضاً بشيء ما فانبطح على أرض الغرفة وتفادى ارتطام رأسه مرة اخرى بالمرآة المثبتة على الجدار المواجه. لقد جرى ذلك في ثوان فقط.

وقفت سينتيا عاجزة عن الحركة وهي تشاهد تتابع الحوادث، حائرة بما جرى. ولكنها تحركت على الفور عندما ادركت ان ستيفان لا يستطيع ان يقف على رجليه.

كان ممدداً على السجادة عبر الغرفة، وتعجبت من حقيقة كونه قد استطاع ان يتفادى الإرتطام على أي من قطع الأثاث، فالأريكة ذات المقعدين خلفه، وطاولة القهوة أمامه.

أزاحت سينتيا على الفور طاولة القهوة، وجثت على ركبتيها الى جانبه، كانت عيناه مغمضتين ولم يكن يتحرك، آه، لم تمت، اليس كذلك؟ ماذا يجدر بها فعله مع شخص مات؟ ربما عليها الاتصال بالإسعاف؟ لتستدعي طبيباً على الأقل؟

عندما رفعت السماعة للاتصال بالطبيب اكتشفت ان

الخط مقطوع. ولم تنفع كل محاولاتها بالضغط على أزرار الآلة.

«انت تضيعين وقتك بذلك. إنه الشيء الذي أوقعني.» قوة صوت ستيفان في الغرفة الصامتة كادت تجعل سينتيا توقع السماعة وتغيب عن الوعي هي الاخرى. التفتت صوبه بعينين متسعتين، وارتاحت لرؤيته ينهض. ولكن من تقطيب وجهه عرفت كم يعاني من الألم. وضعت السماعة مكانها، وسألته:«كيف تشعر؟»

«كيف...؟» حاول سحب نفس عميق وهو ينظر إليها. متابعاً:«كيف تعتقدين أني اشعر مع وجود نصف ميل من شريط الهاتف ملفوف حول كاحلي!»

فهمت سين سبب ملاحظته الأولى. فشريط هاتفها لم يكن فقط ملتفاً حول كاحله ولكنه انتزع ادارة الوصل من تجويف الحائط، فلا عجب ان يكون خط الهاتف مقطوعاً، ومن الصعب إحضار طبيب. اخبرته بسرعة وهو يحاول الوقوف:«كنت احاول مساعدتك. لا اعتقد انك تستطيع الحراك حتى يكشف عليك طبيب.»

ومن الواضح انه كان يشعر بالألم في مكان ما من جسمه عندما تأوه قليلا. وأخبرته:«لقد كنت غائباً عن الوعي لثوان فقط.» ووضعت يدها على كتفه لتمنعه من الحراك اكثر.

«لم أكن غائباً عن الوعي ابداً، يا سينتيا.» لم يكن تعبير نفاد الصبر الذي ارتسم على وجهه، ولكن وهج الغضب عاد الى عينيه:«لقد كنت ملقى هنا وعيناي

مغمضتان، أعد للمئة حتى لا اخنقك فوراً بسبب حقيقة انك دائما تسحبين شريط هاتف طوله ميل لكي تنتقلي من غرفة الى غرفة وأنت تتكلمين في الهاتف!»

تراجعت الى الوراء كما لو لدغت، واحمر وجهها عندما تذكرت هذه الحقيقة. كما يبدو فإن ستيفان تذكرها ايضا، إذ انه منذ سبع سنوات خلت طلب ان يأتي مهندس الى شقته ليركب شريطا أطول للهاتف، بعد ان كانت تنتقل من غرفة الى غرفة وهي تتكلم في الهاتف، ونزعت مقبض الهاتف عدة مرات وقطعت الاتصالات. لقد كان من دواعي استغرابها ان هذا الرجل عرفها جيدا.

اكمل ستيفان بنفور بعد ان تمكن من فك الشريط عن قدمه:«واضح انك تحتاجين لنصف ميل زيادة من شريط الهاتف في بيت اللعبة هذا.» وبنفاد صبر رمى الشريط الى جانبه:«ولكن يكفيني انه كاد ان يدق عنقي بسببه!»

لم تشعر سينتيا بأن الوقت مناسب الآن لتخبر هذا الرجل انه في منزل كوخ صغير، وأن الاكواخ من المفترض ان تكون صغيرة. نموذج كما سماها وكيل العقارات. وحدث أنها احبته كما هو. وبدا ان الحظ لم يعد يحالف سينتيا كثيراً مؤخرا، لو ان الامور سارت كما تشتهي لما كان ستيفان الآن خطيبا لريبيكا هاركورت أولا، وثانيا لم تكن لتقابله من جديد

ابداً. ولكنها قابلته من جديد وها هو الآن ملقى على أرض غرفة الجلوس في بيتها، وكما يبدو لا يقدر على النهوض.

أدركت ذلك برعب عندما حاول النهوض واستطاع ان يطلق تأوهاً من الألم مرة اخرى. كانت جاثية الى جانبه تنظر برعب وبدا انه في حاجة الى طبيب.

سألته عاقدة الجبين:«اين تشعر بالألم؟ هل هو رأسك؟»

تمتم بنبرة متألمة:«رأسي فيه تورم بحجم بيضة.»

بعد ان وضع يده على جانب رأسه واكتشف التورم. وقال:«ولكن ربما ذلك سيوقظ بعض الإحساس بداخلي! يبدو ان كاحلي هو الذي يمنعني من الوقوف.» هز رأسه منزعجاً من قلة قدرته، التي لا تعنيه على القيام بشيء بسيط كالوقوف على رجليه، نظرت سينتيا الى الكاحل المصاب. وانتبهت الى ان جوربيه أسودين. يبدو واضحاً انه لم يعد فوضوياً يرتدي جوارب كل منها بلون. عرفت انه من الغباء منها ان تلاحظ ذلك ولكنه على الأقل تنبيه آخر الى أنه غير الذي عرفته في الماضي والذي كانت تذكره دائماً بأن ينتبه الى ألوان جواربه... وإلا كان يخرج بجوارب ذات ألوان مختلفة.

رد عليها ستيفان عندما تنبأ بما تفكر:«لقد حللت المشكلة بشرائي جوارب سوداء فقط.»

اولته نظرة حادة وقالت مرتبكة:«انا اكيدة من ان

ذلك افضل وهي تناسب بذلاتك الخاصة بالعمل.»

مرة اخرى عجبت سينتيا لما جرى له خلال السبع سنوات الماضية ورفضت ان تصدق، بدون الإلتفات الى ما قاله متناقضاً مع ذلك، ان ذلك له علاقة بها. ولم يكن شيء مما فعلته قد حوله الى رجل أعمال. وهي لم تكن تريد ذلك. لقد كانت فخورة برسوماته ومتأكدة من نجاحه.

اضاف ستيفان مقطباً:«اتمنى لو كل المتاعب تحل بمثل هذه السهولة يا سينتيا.»

قالت بنشاط وهي تقف وتنحني وتضع يدها تحت إبطه:«لنر إذا كان في استطاعتي مساعدتك على التحرك!» وتابعت:«ولكن إذا لم استطع والهاتف لا يعمل سوف يكون عليّ الذهاب لإحضار طبيب الى هنا.»

لم يحاول ستيفان الحركة ولكنه جلس ينظر إليها عن كثب:«هل انتهى الحوار؟» إستفزها بقوة.

رفضت سينتيا ان تنظر إليه قائلة:«الافضل نسيان الماضي يا ستيفان.» ببداهة تحركت يده لتمسك بذراعها:«أنا لا اتحدث عن الماضي.»

قالت بخفة:«حسناً، لا تخدع نفسك بالإعتقاد بأنه سيكون هناك حاضر. الشيء الوحيد هنا هو كاحلك المصاب وأنوي إحضار مختص بذلك على الفور.» وتحركت فسقطت يده على ذراعها. قالت:«هل تستطيع على الأقل ان تجلس على كرسي

كي استطيع ان انظر الى كاحلك بشكل أفضل؟»
لقد كانت متشنجة وعالقة مثله بين الأريكة والطاولة.
استمر في النظر إليها لدقائق طويلة مليئة بالتوتر، ثم أومأ ببطء واكفهر وجهه من الجهد الذي بذله ليتحرك، وكاحله يؤلمه جدا كما هو واضح.
عندما نظرت الى كاحله بعدما جلس على الكرسي، تعجبت كيف انه استطاع ان لا يصرخ عالياً من الألم الذي تطلبه تحريك رجله. كان كاحله متورما. وأدركت أنه إذا لم تنزع حذاءه سوف يكون من الواجب تمزيق الحذاء من رجله. لم ترد سينتيا التفكير بالأمر، وما زال كل ذلك مؤلما. قالت له بجفاء:«يجب ان ننزع الحذاء.» ورفعت قدمه ووضعتها على ركبتها وتمتمت:«عفوا.» عندما زمجر متألما. وتحركت بانتباه اكثر عندما فكت شريط الحذاء وحلته لكي لا يضغط على قدمه المتورمة. بينما كانت تسحب الحذاء، علمت انه يتألم من تعبير وجهه الذي كان واضحا. إلا إنه لم يقل شيئا.
نظرت إليه وحولت نظرها بعيدا بسرعة عندما رأت الألم على وجهه تنهدت قائلة من انعدام شعورها بالتعاطف معه:«أنا آسفة.» وجلست القرفصاء. «اعتقد ان عليك الذهاب الى المستشفى.» وعقدت جبينها من العطب الذي أصاب كاحله. ربما يكون كسرا.
قال ستيفان:«لقد عرفت ذلك منذ بعض الوقت، ولكن السؤال هل انت ستنقلينني الى هناك؟»
«هل...؟ طبعاً سأنقلك الى هناك!» نظرت إليه بلوم.

كيف يمكن ان يفكر عكس ذلك. لم تتغير الى ذلك الحد. قالت بغير اكتراث:«أكره ان ارى أي شخص يتألم.»
قال ستيفان ببطء:«هكذا وضعتني في مكاني.» وأضاف بقسوة على نظرتها المتسائلة:«إذا ما خطر لي ان اهتمامك شخصي.»
لم تزعج سينتيا نفسها بسؤاله. وركزت انتباهها على إخراجه من البيت ووضعه في سيارتها كي تستطيع نقله الى مستشفى وست ميدلكس الذي يبعد حوالي خمسة اميال. وضع ذراعه متكئا على كتفها وانحنى بثقله عليها ومشى ببطء الى ان وصل الى سيارتها المتوقفة الى جانب الطريق. قالت:«اعتقد انك سترتاح أكثر في المقعد الخلفي.» وقطبت جبينها عندما أدركت انه من المحتمل الا يستطيع الصعود الى المقعد الأمامي. ولكنه استطاع ان يرمي بنفسه الى الخلف من دون عناء، بعد ان كاد يوقعها معه، إذ أنها لم تكن قوية البنية كفاية لمنعه من الاخلال بتوازنها!
قال ستيفان:«عليك بتحريك سيارتي.» وأشار الى سيارته المتوقفة امام سيارتها بالضبط.
«حسنا. لم أنو الطيران فوقها!» ونظرت إليه لملاحظته غير الضرورية. كانت تعي تماما ان عليها تحريك السيارة. وكانت منتبهة ايضا الى ان الطريق ضيق جدا وسيكون من حظها السيء لو ان سيارته الثمينة ارتطمت بحديقتها! وكان ستيفان جالسا يراقبها،

الى ان تمكنت من إزاحة سيارته بشكل يكفي لمرور سيارتها الى الشارع الرئيسي.

عندما وصلا الى المستشفى تولى طاقم مدرب أمر ستيفان. وقد أنزله رجلان قويا البنية من السيارة وأجلساه على الكرسي المتحرك وأخذته ممرضة الى غرفة الفحص وتركوا سينتيا القلقة في غرفة الإنتظار.

بدا انها ستنتظر هناك الى الأبد، بدأت تفكر إذا كان قد نسوها تماماً وأحست بالجوع، أذ انها فوتت تناول الغداء مع وصول ستيفان المبكر، وفي هذه الحال سوف تفوت وجبة العشاء ايضاً.

اخيراً ظهر ستيفان على الكرسي عند غرفة الانتظار وكاحله مضمد، ولكن لم يكن مجبراً مما يعني انه لم يكسر عظامه، مع ان وجهه بدا متجهماً أكثر من أي وقت مضى. اعتقدت سينتيا ان ذلك بسبب الألم الذي عاناه خلال الفحص والعلاج الذي أعطي له منذ قليل.

قالت الممرضة بسرور:«لا شيء مكسوراً.» ودفعت الكرسي الى جانب سينتيا. قدمت له عكازين:«ان زوجك سيكون في حاجة لهما هذه الفترة. ولكن لا تعتمد عليهما كثيراً في اليومين الأولين يا سيد ثورنتون.» ثم تابعت بعبوس:« فأنت في حاجة الى الراحة حتى يزول الورم.» واتجهت الى المريض الثاني.

وقفت سينتيا تنظر الى ستيفان بصمت، متجاهلة

عمداً الملاحظة التي قالتها الممرضة الشابة معتقدة ان ستيفان زوجها لأنها اتت به الى المستشفى.

ماذا عليهما فعله الآن؟ من الواضح ان إصابة ستيفان لم تكن خطرة الى درجة تستدعي دخوله المستشفى، ولكنه لا يستطيع في هذا الوقت ان يعود الى شقته بمفرده. إلا ان فكرة نقله الى بيت والدته، واحتمال رؤية تلك المرأة مرة اخرى تبدو اسوأ ورؤية باربرا من جديد ملأتها بالخوف. ولكن لم تكن في حاجة الى ان تقلق. بدا ان ستيفان عنده حل لتلك المشكلة. «سيكون عليك نقلي الى منزلك لبضعة أيام طبعاً.» ولم يكن من المحتمل ان يبقى في منزلها، لأي فترة من الزمن!

www.elromancia.com

الفصل السادس

قال ستيفان عندما عادا الى السيارة:«ليس عندي مكان آخر أذهب إليه.» جلس في المقعد الأمامي الى جانبها، بمساعدة العكازين.

لو ان هذه العبارة جاءت من شخص آخر لكانت شعرت بالتعاطف معه وحتى بالشفقة. وربما كان يستحقها لو كان أي شخص آخر غير ستيفان. ولكنها عرفت ان ذلك غير حقيقي. فلا بد ان هناك عدة أماكن يستطيع الذهاب إليها غير منزلها.

قال لها بسلاسة بعد ان نظر في المرآة الجانبية:«عليك بالتحرّك، هناك سيارة إسعاف تحاول الوقوف خلفنا.»

كانت سينتيا قد أتت بالسيارة الى جانب باب قسم الطوارىء حتى لا يمشي ستيفان كثيراً، ورأت بعد لمحة قصيرة من مرآتها الجانبية أنه كان على حق بشأن سيارة الإسعاف، قالت بينما كانت تدير محرك السيارة:«حسناً، سوف أنطلق.» مضيفة بحدة:«ولكنني لن أنقلك الى كوخي مجدداً.»

قادت السيارة الى موقف السيارات وتوقّفت، ثم دارت في مقعدها لتنظر الى ستيفان وتقول له:«انني أعني ذلك، لن تعود الى الكوخ معي.» ولم تنزعج من هدوئه، عرضت عليه بتردد واضح:«سوف انقلك الى منزل

والدتك إذا أردت الذهاب الى هناك.» ان رؤية باربرا وكلوديا من جديد كانت افضل من ذهاب ستيفان معها الى منزلها.

قال بلهجة ساخرة، كما لو انه ادرك بما تفكر:«هذا كرم كبير منك، وصدقيني اعرف تماما حجم هذا الكرم، فأنت لم تتفقي مع والدتي ابداً.»

عارضته بحرارة:«لقد كنت اتفق معها، ولكنها لم تحبني.»

تساءل ستيفان: هل كان هذا عذراً؟ وتضايق من ملامح العناد على وجه سينتيا غير المتجاوبة. وقال بشدة:«قد يزعج أمي رؤيتي هكذا.»

مما تذكره سينتيا عن كلوديا ثورنتون ان هذه المرأة تستمتع كثيراً بوجود ستيفان بين مخالبها المسيطرة، فيغدو غير قادر على الحراك. وهكذا لا يستطيع ان يوقف تدخلها. إلا إذا تغيرت كلوديا! وهذا ما تشك فيه سينتيا كثيراً!

قال ستيفان:«لم تنس قط الصدمة التي تلقتها بعد وفاة أليكس.» ثم أكمل بعد ان لاحظ تعبير سينتيا المرتاب:«لقد عانت من عدة صدمات منذ ذلك الحين، ورؤيتها لي الآن بهذه الحالة ستتسبب لها بكارثة.»

لم تعرف سينتيا شيئاً بشأن الأولى ولم تتخيل كلوديا على انها أي شيئ آخر غير الآمرة على نفسها وعلى عائلتها دائماً، مظهرها الأنيق يعطيها انطباع النعومة، وهو مظهر مخادع تماما كما تبين لسينتيا.

www.elromancia.com

لم توافق كلوديا على اختيار ابنها لسينتيا، بالرغم من حرصها الداعم على عدم إظهار هذا الأمر أمام ابنها. حقيقة شدد عليها ستيفان أكثر من مرة عندما كانا بمفردهما. ولكن لم تستطع ان تسيطر على طريقة شعورها تجاه والدته. كما كانت اكيدة من ان كلوديا لم تستطع ان تغيّر شعورها تجاهها.

قالت سينتيا باقتضاب:«آسفة، لم أدرك ذلك.»

اضاف ببرودة:«لماذا عليك ذلك؟ لقد أردت ان تكوني خارج حياتي فقط.» ثم اردف فجأة:«كما قلت، الماضي هو الماضي، ونبشه لن يغيّر شيئا الآن.»

لكن كان واضحا لسينتيا كم ان هذا الأمر ما يزال يزعجه. وربما لم يكن الوقت مناسبا الآن للإشارة الى ذهابه الى باربرا دائما!.. ولكن المرأة الأخرى لم تكن من الماضي. ومما رأته سينتيا ليلة أمس ما زالت باربرا حاضرة في حياة ستيفان.

استقامت سينتيا بعدائية، لا تستطيع مقاومة ذلك، مجرد التفكير بباربرا ثورنتون والدور الذي لعبته في ماضيها التعيس يجعل حطام حياتها الماضية يظهر حتى الآن.

قالت بحدة وقسوة:«باربرا، إذا، سوف تكون سعيدة بوجودك معها.» وفكرت كم ستكون المرأة الاخرى سعيدة بذلك.

رد ستيفان:«انتقلت باربرا للعيش في منزل العائلة بعد وفاة أليكس وبقيت هناك منذ ذلك الوقت. ولكن كما هو واضح فإنك، تفضلين ذهابي إلى أي مكان

الا بيتك. فربما من الافضل ان تعيديني الى شقتي، سوف اتدبّر أمري بطريقة ما.»

نظرت إليه بخوف. حتى جانب وجهه يبعث على عدم الإرتياح. ما هو الخيار الذي أمامها، او الذي سبق ان كان لديها؟

قالت له بنشاط:«طبعاً ستأتي الى البيت معي.» ودارت في مقعدها لتقود السيارة من جديد. «فبرغم كل شيء، لقد كانت غلطتي أنا التي تسببت بهذا الحادث، إذا فأنا مسؤولة عنك حتى تستطيع الحراك من جديد.»

ووجهت انتباهها الى القيادة باتجاه منزلها. فهي تستطيع تحمّل أي شيء عدا التفكير في ستيفان مجتاحا خصوصية منزلها بهذه الطريقة.

قال ستيفان بازدراء:«لقد انتهى الأمر بروعة.»

حدّقت به سينتيا بحدة وحوّلت نظرها بسرعة من السخرية المرحة التي ارتسمت على فمه. كان عليه ان يعلم كم كانت تخاف فكرة وجودها قريبة منه للأيام التالية. كم يوما قالت المرضة ان عليه الخلود الى الراحة؟ بضعة أيام، أليس كذلك؟ لم تدرك سينتيا كم ستطول بضعة الأيام هذه إلا في تلك اللحظة! لم تكن متأكدة في تلك اللحظة مما إذا كان عليها ان تندب حظها... او تتوسل!

اخبرها ستيفان بتقطيب وجه:«أحتاج لبعض الاشياء من شقتي... ثياب، وأشياء مثل ذلك وحقيبتي الصغيرة طبعا.» وتنهد متثاقلا.

تمكنت اخيراً من ادخاله الى منزلها بعد عناء. مضى كل شيء على خير في الخارج. بدا ان ستيفان استطاع استعمال العكازين جيدا ولكن عندما دخلا الى الكوخ ظهرت المشاكل. فلقد كان هناك الكثير من الأثاث أمامه لم يمكنه من التحكم بتوازنه جيدا. والسقف المنخفض أزعجه. الطريقة الوحيدة التي استطاع الدخول بها الى غرفة الجلوس، كانت بمساعدة سينتيا التي أزاحت نصف الأثاث الى جانب الجدران. وهكذا أخلت مساحة له في منتصف الغرفة. مما جعلها تبدو خالية. في النهاية استطاعت سينتيا ان تريحه على مقعد وثير الى جانب المدفأة، وقدمه مرتاحة على منضدة والعكازان مسندان على زاوية المدفأة في متناول يده.

ان وجوده هنا كان اكثر من مبعث ازعاج لسلام عقلها! والآن يقترح ان تذهب الى شقته لإحضار بعض الاشياء له!

سألته سينتيا:«هل ما زلت تعيش في المكان نفسه؟»

رد برفق:«طبعا.» ورمقها بعينين حادتين حيث أنها كانت جامدة بوضوح. سألها برفق:«هل هناك مشكلة في ذلك؟»

ليس له طبعاً ولكن لها...! فلقد امضت مع ستيفان في ذلك المكان اوقاتا سعيدة، وكان ستيفان يرسم بينما هي... اجابته:«كلا، ليس هناك مشكلة ابدا.» فهكذا ستتمكن من معرفة ماذا حصل لرسوماته وما إذا

كان لا يزال يحتفظ بمحترفه كما هو. لقد تخلى عنه وعن كل الاشياء الأخرى التي تبدو الآن ضائعة من حياته. اشياء مثل الضحك والمرح، اشياء مثل ستيفان نفسه...! قالت سينتيا:«سأذهب الآن، هل تريد شيئا آخر؟» وقفت مستعدة للذهاب.

قال متذمرا:«تريدين الهرب من رفقتي لبضع ساعات أليس كذلك؟ آه، خذي مفاتيحي واذهبي.» أخرج مفاتيحه وأعطاها إيّاها قبل ان يرجع برأسه الى الوراء اغمض عينيه بإرهاق.

بقيت سينتيا تنظر إليه لدقائق طويلة، وأصابعها تطبق على المفاتيح الباردة، ولا تدري هل تذهب أم تبقى. بدا تعبا جدا ولم تعرف إذا كان سبب ذلك الألم في كاحله أم شيء آخر. على أي حال ليس بالأهمية، كيف كانت تحتقر ردة فعله من فسخ خطوبة ريبيكا.

ففي النهاية خطيبته تخلت عنه اليوم ايضاً. قال ستيفان:«إذا كنت ستذهبين، هيا إذهبي!» فتح عينيه ونظر إليها:«انا لست في حاجة الى حضانتك في كل دقيقة من اليوم!»

الحضانة كانت آخر ما تفكر به. ولكنها بدأت تشعر كيف أنه موجود في الأسفل خلف المطبخ. وهذا ليس بمشكلة بوجودها هنا لمساعدته. أما بمفرده... «ستيفان...؟» وعضت شفتها السفلى.

زاد نفاد صبره:«فقط اعطني الصحيفة وقلماً لأحل الكلمات المتقاطعة وكوباً من عصير الفواكه او

www.elromancia.com

شيئاً آخر من هذا القبيل حتى لا أموت عطشاً.»
اضافت بتهكم:«ربما لا يكون عصير الفواكه فكرة جيدة، خصوصاً وأن الحمام في الخارج، وبالواقع...»
تنفس عميقاً:«حسناً لا أريد الجريدة او القلم لأحل الكلمات المتقاطعة ولا العصير، سوف أجلس هنا وأنام حتى تعودي! هل هذا يناسبك؟» تحدّاها بقسوة.
«كنت فقط...»
«اعرف ماذا كنت فقط، يا سينتيا.» قاطعها بنفاد صبر:«لكنني لست على استعداد للتعرض للإنزعاج في هذه اللحظة مفهوم؟» ونظر إليها بتجهم.
نعم، انها تفهم جيداً. لقد كانت تتعرف على طبعه الجديد. كما تعتقد انها فهمت القديم، فقط يريد ان يبقى بمفرده ولم يرد أي شيء آخر، خصوصاً ضجيجها حوله. إلا أنها توقفت في المطبخ لمدة كافية لتجلب له شطيرة وبعض الفاكهة. فهو لم يأكل أي شيء منذ فترة، وضعتها على الطاولة بقربه مع عصير الفاكهة الذي طلبه فهو يستطيع تدبّر امره إذا كان يائساً كفاية كما تعرفه.
اكتشفت عندما استدارت لتخبره عن الطعام أنه قد نام، كان وجهه مرتاحاً، وخطوط الألم والتعب قد امّحت، بدا أصغر سناً، يشبه ستيفان الذي عرفته ذات مرة. كلا. هذا ليس ستيفان الذي عرفته. او حتى فكرت انها عرفته. هذا رجل أعمال قاس الى جانب أن ستيفان هذا قد تخلت عنه خطيبته الثانية ولأسباب

شبيهة، إذا ما كان ظهور باربرا في مكتبه امس له أي علاقة بالأمر، فلماذا لم يتزوجها ويتوقف عن توريط الآخرين بهذه المشاكل المؤلمة؟
لسنوت عدّة بعد أن أعادت إليه خاتم الخطوبة توقعت سينتيا في الصحف مثل هكذا إعلان. أدركت ان الاثنين لا يستطيعان الزواج على الفور، خصوصاً ان باربرا كانت ارملة حديثة.
اشاحت سينتيا نظرها عنه، تاركة الطعام والشراب الى جانبه. كانت في حاجة الى ان تخرج لبعض الوقت، بعيداً عن كل الذكريات المؤلمة. عن أوهامها الزائلة مع ستيفان. وذهابها الى شقته ما كان ليؤمن لها ذلك، وشعرت بنفسها تتوتر أكثر فأكثر عندما اوقفت السيارة خارج المبنى وعبرت الممر لتضغط على جرس الحارس. لم تنس هذا الأمر، فالشقة في هذا المبنى الأنيق لها شاشة حراسة عند البوابة للأمان من كل داخل وخارج.
لقد كان رجل الأمن نفسه. لم تصدّق سينتيا ذلك، ولكنها تذكرته على الفور. كان جورج كروسلي الأصلع النحيف، ما زال منذ ذلك الوقت الذي كانت فيه ضيفة دائمة لشقة ستيفان، حتى انه كان لها مفتاح خاص. لقد كبر الآن قليلاً، أليسوا جميعهم كذلك!
«آنسة سميث!» حياها بسرور بالغ وفتح الباب وهو يتابع مبتسماً:«انك الآنسة سميث، أليس كذلك؟»
«طبعاً أنا هي.» ردّت بحرارة وخطت الى الداخل.

www.elromancia.com

فتذكره لها لا يعني انه سيسمح لها بالصعود الى شقة ستيفان، ولكن بما أنها اصبحت في الداخل سوف يكون صعبا عليه رميها الى الخارج:«سيد ثورنتون وقع له حادث بسيط.»

«لا شيء خطيراً كما أتمنى.»

اكدت له بسهولة:«كلا على الاطلاق، ولكنه سيبقى عندي لبضعة أيام. لذا عليّ ان آخذ بعض الأغراض من شقته. هل هذا ممكن؟»

اجاب من دون تردد:«طبعاً آنسة سميث. لقد كانت لديّ تعليمات مشددة دائماً من سيد ثورنتون بأنه إذا أردت رؤيته ان أدخلك على الفور.»

هذه التعليمات كانت منذ سبع سنوات ولم تعد صالحة الآن، ولكن ستيفان لم يغيرها.

لم يكن لديها اهتمام خاص بأن جورج سوف يتعجب من ظهورها مجدداً بعد غياب سبع سنوات. لم تتوقف في ردهة الاستقبال. لم ترد ان تجعل هذا الرجل المسن يستغرب إذا كان يستطيع الترحيب بها بعد هذه الفترة الطويلة، لذا لوحت له بيدها قبل ان تخطو نحو المصعد وتضغط على الزر.

شعرت بمعدتها تخفق في داخلها أكثر مع كل طابق تمر به، وعندما توقف المصعد عند الطابق الأخير شعرت سينتيا بالغثيان!

لم تعتقد انها ستعود الى هذا المكان مرة أخرى، الى مكان سعادتها الكبيرة وإذلالها الكبير.

تغيّر الديكور، السجاد والأثاث ايضاً، مع ان الألوان الخضراء والعاجية الجديدة في غرفة الجلوس لم تكن من اختيار ستيفان كما كانت في السابق، ولكنها كانت خيبة كاملة لامرأة ذات عينين خضراوين لامعتين!

باربرا زيّنت هذه الغرفة مجدداً لستيفان. كانت سينتيا واثقة من ذلك الأمر، السجادة الخضراء الداكنة، والمقاعد كلها تحمل بصمات باربرا، بشعرها الأسود وعيناها الخضراوين الداكنتين.

هذه المرّة بدا اللون منسجماً في غرفة النوم الرئيسية. فالسرير الضخم الذي كان يطغى على الغرفة في ما مضى تغيّر الآن الى سرير بزوايا اربع، حتى اغطيته كانت خضراء داكنة.

نظرت سينتيا في انحاء الغرفة، وهرعت الى المحترف تنشد الأمان ووجدته. بقي كما كان! تماماً كما كان. ادركت ذلك بوضوح وهدأت اعصابها بعد ان كادت تصاب بالهلع. لم يتحرك أي شيء ابداً... لا شيء... الرسومات المنتهية تسند الى الحائط كما تذكرها، والرسومات شبه المنتهية الى الحائط المقابل، والرسم الذي كان يعمل فيه في المرة الأخيرة حين كانت سينتيا هنا، ما زال شبه منته على المنصة.

لم يعمل ستيفان على رسوماته قط في السنوات السبع الماضية! استدارت سينتيا لتغادر الغرفة عندما احست بالدموع تترقرق في عينيها. ولكنها توقفت فجأة عندما شاهدت رسمها. الحائط خلف الباب كان خالياً من

www.elromancia.com

الرسومات عدا رسمها وضوء خاص مسلط فوقه، لاعطائه القدر المستطاع من النور. وعندما انارت سينتيا الضوء لاحظت كم هو مؤثر. احتفظ ستيفان بهذا الرسم الذي ألهمته به حتى بوضوح أكثر، لقد كان هنا على الأقل مرة واحدة خلال السبع سنوات الماضية، ليشرف على تعليق الرسم، ربما كان هو من علقه. لماذا؟ جاء سؤالها التالي. اعترفت بأن هذا كان افضل اعمال ستيفان، لقد رسمها خلال الأيام الأولى من معرفتهما ببعضهما، وهذا كان ظاهراً في كل ضربة فرشاة. لم تستطع سينتيا الوقوف والنظر إليها لمدة أطول. اطفأت النور لترجع الى غرفة النوم، وأخذت تفتح وتغلق الخزائن لتأخذ الثياب التي يحتاجها ستيفان للأيام المقبلة بسرعة. ابعدت عن تفكيرها خصوصية حقيقة كونها تعرف تماما اين تجد الملابس والحقيبة لتضعها بها.

لكن مع ذلك ترددت بالخروج بعد ان أعدت الحقيبة. من الواضح ان ستيفان لم يعد يرسم ولأسباب لم تكن لتتكهن ما هي، ولكن ربما بسبب قلة وقت فراغه. لأنه يدير صناعات آل ثورنتون، سوف يمكث في منزلها مع القليل من العمل يقوم به للأيام القليلة، الى جانب طلبه الحقيبة الصغيرة، لم يكن ليفعل الشيء الكثير من دون الهاتف. بدون ان تتردد بمنح نفسها فرصة للتفكير، رجعت سينتيا الى المحترف والتقطت حقيبة الأدوات التي كان ستيفان يحملها معه دائما إذا ما

ذهبا بعيداً لبضعة أيام، وتعلم ان في داخلها كل أدوات الرسم. وأخذت قطعة من قطع القماش النظيفة قبل ان تترك الغرفة، وضعتها تحت ابطها حتى تتمكن من التقاط الحقيبة بيد وحقيبة يده باليد الاخرى. إذا لم يرد ستيفان الرسم، فلا بأس، ولكن إذا أراد ذلك على الأقل تكون قد اعطته الفرصة ليحاول إذا ما رغب بذلك. شعرت بالامتنان تجاه جورج الذي عرض المساعدة عندما خرجت من المصعد مع كل هذا الحمل. كانت تستطيع ان تنقل الحقائب على دفعتين ولكنها لم تشأ الصعود الى الشقة مرة ثانية. فهي تذكرها بباربرا. والمكان الذي احتلته دائما في حياته.

«بضعة أيام يا آنسة سميث؟» غمزها جورج غمزة عارضة قبل ان يرفع يده ليودعها وهي تقود السيارة الى الشارع الرئيسي... لو حاول البقاء عندها مدة أطول، فكرت سينتيا وانفعالاتها ما تزال متأججة نتيجة زيارتها شقة ستيفان، فإنها سوف تنقله الى والدته وترميه على عتبة بيتها!

«ما هذا؟»

نظرت إليه سينتيا بعد ان وضعت اغراضه لتجده يراقبها عبر غرفة الجلوس الصغيرة. من الغريب انه كان لا يزال نائما عندما وصلت الى الكوخ منذ دقائق، واعتقدت ان المهدىء الذي حقنته به الممرضة في المستشفى، كان السبب في ذلك، فلم تكن تتصور ان ستيفان ينام نهارا.

حاولت ان تكون هادئة قدر المستطاع وأخذت الطعام الى المطبخ قبل ان تبدأ بإحضار الامتعة. ولكن يبدو أنها لم تكن هادئة كفاية.

كان ستيفان ينظر إليها بعينين متقاربتين وهي تضع الأغراض على الأرض. قال:«قلت ما هذا؟» كان صوته حادا وهو يعتدل في جلسته.

اولته سينتيا نظرة سخط قائلة بنفاد صبر:«اغراضك طبعا. من أجلها كنت خارجا في الساعات الماضية.»

قال ستيفان بجفاء:«لتجلبي بعض الثياب وحقيبتي الصغيرة، نعم. ولكن هذه... لم اطلبها.» واعطاها تلميحا قاطعا من رأسه باتجاه القماش التي وضعتها أمام المرأة.

لقد كان يوماً طويلاً وكانت تعبة ولم تكن في حاجة إليه ليقول ذلك. قالت بتثاقل:«اعتقد انني منتبهة الى ذلك.» كانت بحاجة ماسة لتناول العشاء. والتفاحة التي اخذتها معها لم تكن كافية:«هل تريد...؟»

قال ببرودة:«اريد جوابا عن سؤالي.»

اجابت سينتيا بحدة:«وأنا أريد عشائي. لقد كنت اجوب المدينة من اجلك لسبب او لآخر هذا المساء. والآن اريد ان آكل.» لمعت عيناها وتابعت:«فقط لأنك استيقظت كدب برأس مجروح لا تستطيع ان تستخدمني كأنني كيس الملاكمة الخاص بك. انا تعبة، جائعة ولست في مزاج جيد.» الجملة الاخيرة خرجت بعاطفية، فاليوم لم يكن سهلا عليها ايضا.

تحرّك ستيفان الى الأمام في مقعده، متحاشياً بانتباه ان لا يحمّل كاحله المضمد أي وزن قال بقسوة وعيناه تلمعان بلون ذهبي عميق وفمه مشدود:«قلت انه يمكنك الذهاب الى شقتي وإحضار بعد الملابس لي، ولم أقل أنك تستطيعين ان تتجولي في الغرف التي لا يحق لك الدخول إليها! لا احد يدخل الى محترفي، لا أحد.»

نظرت سينتيا عبر الغرفة ويداها على خصرها بعدائية. لقد كانت تعني ذلك عندما قالت انها تعبة وجائعة. في الحقيقة كان هذا اكثر ما تستطيع تحمله ولكن ماذا قصد عندما قال انها تستطيع الذهاب الى شقته وجلب بعض الاغراض له؟ لقد أمرها ان تفعل هذا!

تحدته بقسوة:«ولا حتى انت كما هو ظاهر ولن...»

قال بهدوء وبحذر:«ولا حتى أنا! إذاً، كل ما جلبته معك من هناك سوف تعيدينه.»

تنهدت بخوف:«ستيفان...!»

قال بحدة وكل جسمه ينتفض من غضبه المكبوت:«انا اقصد ذلك يا سينتيا.» لأنه لا يستطيع الحراك وهو في موقف لا يسمح له بفعل أي شيء. تابع:«لا اريد هذه الاشياء هنا، لا أريدها في أي مكان قريب مني!»

رأت سينتيا انه يعني ذلك، ادركت ذلك من خلال تعبير وجهه العنيد، انه يريد تبقى ادوات الرسم بعيداً عنه، وسوف يكون سعيداً لعدم رؤيتها من جديد. وكأنه يكره كل الاشياء التي منحته ذات مرة الهدف من حياته.

www.elromancia.com

الفصل السابع

قالت سينتيا مقطبة:«ألا تعتقد انك تتصرف بصبيانية الآن؟»
«لا أبه لتصرفاتي!» وحاول الوقوف على قدميه، معتمداً على العكازين، متابعاً:«لا يحق لك جلب هذه الاغراض الى هنا.»
قالت بقسوة:«آه، كلا، أملك الحق في الركض خلفك مثل خادمة مطيعة.»
اخذ نفساً عميقاً وقال بغضب:«ليس عليك فعل ذلك ايضاً. لقد غيّرت رأيي بشأن البقاء هنا يا سينتيا. اعتقد اني افضل العودة الى شقتي.»
حدّقت فيه سينتيا بازدراء. لقد كان هو من جعلها تشعر بالذنب بسبب حادثته وليس أمامها أي خيار غير ان تبقيه عندها، الى ان يشعر بتحسن. وكان قد أصر على جلب أغراضه التي يحتاجها من شقته. رحلة الى المدينة قضت فيها حوالي الساعتين وفوّتت عليها العشاء، والآن يقول انه غير رأيه ويريد المغادرة. حسناً، يستطيع ان يفكر كما يشاء!
نظرت إليه وقالت:«انا لا أبه لما تفكر به يا ستيفان. انت من أراد البقاء هنا والآن عليك ان تفعل هذا.»
نظر إليها وقد اندهش من عدائيتها ولم تستطع سينتيا منع نفسها من التساؤل:«كم مضى من الوقت

منذ ان وقف بوجهه أي انسان بهذه الطريقة؟ وكرئيس لصناعات آل ثورنتون، فهو من دون شك لا يواجه الكثير من المعارضة. حسناً، انه في مملكتها الآن، وليس في شركة آل ثورنتون ولا في بيت عائلته. وإذا اعتقد انها سوف تلبي كل طلباته عند أقل إشارة منه فهو مخطىء، الى جانب ذلك، فسبب بقائه هنا لا يزال قائماً. فهو لا يستطيع الرجوع الى شقته معتمداً على نفسه إلى ان يصبح متكيّفاً مع عكازيه، وكما قال ان ذهابه الى بيت والدته كان من غير الممكن ايضاً... اخيراً استرخى قليلاً، وقال بسخرية مستهترة:«لا تستطيعين حملي على البقاء هنا، يا سينتيا.»
قوّست حاجبيها وقالت:«كلا. وكيف تقترح الرحيل؟ هل تنوي الاتصال بسيارة اجرة لتنقلك؟ آسفة، يا ستيفان. كما يجب ان تعلم ان الهاتف عاطل عن العمل. هل تنوي ان تخرج على عكازيك؟» واضح أنه نسي ان الهاتف معطل. «اعذرني لقولي هذا يا ستيفان.»
قرّب عينيه وقال برقة:«دعيني أقول بصراحة، يا سينتيا، هل تعنين اني اسير هنا؟»
رفعت حاجبيها وردّت عليه:«تقريباً! ما أقوله لك هو إذا استطعت ان تحضر احداً ما لينقلك من هنا، حسناً، افعل ذلك، ولكنني لن أقلك الى أي مكان!» ولتأكيد وجهة نظرها ذهبت الى المطبخ لتبدأ بتحضير العشاء. لم تعتقد ان ستيفان سيذهب الى أي مكان، ليس الليلة على الأقل!

www.elromancia.com

احست بوجوده عند باب المطبخ بعد دقائق. لقد كان يعاني من المتاعب مع عكازيه. فكرت بسرور. استفهمت منه بخفة:«سباغيتي مع الفطر، هل تحبها؟» وبدأت بتقطيع البصل والفطر.

قال لها:«اتعرفين، ذات مرة كنت أتخيّل وجودنا بمفردنا في كوخ هادىء في مكانٍ ما. بدون هاتف او عائلة تزعجنا.» هز رأسه مزدرياً نفسه:«كم كنت غبيا.»

قطبت سينتيا وجهها قائلة:«ستيفان.»

قال لها بجفاء:«لا أريد عشاء، شكراً لك، سوف أذهب الى الفراش.»

وضعت السكين التي كانت تستعملها لتقطيع البصل من يدها، واستدارت لتواجهه، وأوضحت له بتعقل:«ولكنك استيقظت من النوم منذ قليل، لا بد ان تكون جائعا.»

اولاها نظرة قاسية واستدار بعيداً وتمتم:«ليس للطعام.»

تحركت سينتيا الى الباب وقالت:«ماذا قلت؟» ولحقت به الى قاعدة الدرج عابسة.

قال بتجهم:«قلت انني كنت غبياً، انت علىحق يا سينتيا. الماضي هو الماضي وعليه ان يبقى هناك.»

لم تكن تدري عمّا كان يتكلم، عن الرسم او عن شيء آخر. ولكنها كانت تعرف ان الوقت ليس ملائما لتسأله. فقساوة ملامحه كانت كافية لتنذرها بألا تفعل ذلك كما كان كافياً ليرفض مساعدتها له بصعود

السلم ايضاً. لقد كان هناك العديد من الدرجات وكان الدرج ضيقاً ومن المستحيل عليه استعمال العكازين معا لمساعدته على الصعود. حقيقة أدركها عندما رمى بأحد العكازين الى أرض غرفة الجلوس بنفاد صبر. وانحنى بثقله على الدرابزين المثبت ببضع مسامير ليستطيع صعود الدرجات.

فكرت سينتيا انه ربما من الخطر عليها ان تلمح له بذلك إذ انه سيرمي بعكازه الثاني عليها. لذا لزمت الصمت بحكمة، فرجعت الى المطبخ لتحضر عشاءها، ولكنها كانت تستطيع سماعه. وعرفت كم من الصعب عليه ان يصعد الدرج. تمنت ان تذهب وتساعده، ولكنها مقتنعة بأن مساعدتها سوف ترفض، وقد عانت من الرفض ما يكفيها مدى حياتها! تنفست متنهدة بارتياح عندما سمعته اخيراً يصل الى أعلى الدرج واستغربت لأنها لم تدرك انها تمسك انفاسها حتى تلك اللحظة. كان هذا صعباً ومعقدا جداً. لماذا كان متضايقاً من ادوات الرسم؟ لم تكن مهمة الى درجة ان يغضب الى هذه الدرجة؟ طبعاً كانت فضولية، تعترف بذلك، لمعرفة لماذا لم يعد يرسم، ولكن ردة فعله لرؤية هذه الأغراض كانت غير متوقعة. كان هناك الكثير من الألغاز لدى ستيفان لم تكن قادرة على فهمها، وأشياء كثيرة تمنت لو تسأله عنها. ولكنها لم تكن لتفعل ذلك. تمتمت سينتيا:«تبا!» عندما رأت انها تحرق البصل والفطر، فرفعت المقلاة عن النار لتبرد قليلاً.

www.elromancia.com

لم تكن تسمح لنفسها بالإقتراب منه، لقد فعلت ذلك كفاية في الماضي. كان عليها ان تتركه يذهب عندما يشاء ذلك، كان عليها ان تشعره بالإمتنان لأخذه الى اي مكان أراد الذهاب إليه، بدلا من ان تحكم على نفسها بالبقاء برفقته لوقت اطول. والأمر المهم هو كيف تمنع نفسها من الغضب إزاء تصرفه؟

لقد كانت تفعل ذلك ثانية، سامحة لنفسها بأن تعلق بأفكار عنه بدلا من الاهتمام بحياتها! العشاء. سوف تأكل حتى لو ان ستيفان لن يفعل فهي تستحق عشاءها بعد النهار الذي قضه!

تمنت لو تستطيع القول انها استمتعت بالسباغيتي، فقد ذهبت شهيتها للطعام عندما فكرت ان ستيفان ممد على السرير في منزلها، وأمتعته لا تزال على ارض غرفة الجلوس، مع عكازه المرمي. اخذت حقيبته وأغراضه الأخرى الى فوق عندما انهت عشاءها، ربما إذا لم تر هذه الأغراض قد تتمكن من نسيان وجوده في المنزل! او الاحساس به، ولكنه يستأهل المحاولة.

اتسعت عيناها بعدم رضى عندما فتحت باب غرفة الضيوف بهدوء، ورأت ستيفان غارقا في سبات عميق على فراش عار من الأغطية. لقد نست تماما ان السرير الإضافي غير جاهز وواضح ان ستيفان لم يكن في مزاج ليطلب منها شيئا، او ربما فكر انها بمزاجها السيء سوف ترفض ان تجهزه له. لم تكن لترفض، او ربما لم يكن يريد ان يراها ثانية هذه الليلة. آه،

هذا سخف، رأت وهي تنظر إليه بينما هو نائم، انهما يتصرفان بصبيانية وليس كشخصين ناضجين.

جلست بخفة على الكرسي المواجه للسرير الصغير وقد وضعت اغراضه على الأرض . هل كان كل شيء خطأ بالنسبة لهما؟ ولماذا كان ذلك خطأ؟ الجواب المتاح عن هذين السؤالين يتلخص بكلمة واحدة: باربرا.

ورجعت بالذاكرة:

عرفت سينتيا ان كلوديا ثورنتون لم توافق على اختيار ستيفان لها. ولكن بدا أنها رضخت لأنه لم يكن لديها خيار آخر، خصوصا ان ستيفان قدعقد عزمه. إذا قبلت بالأمر الواقع باعتزاز جيد على الرغم من عدم سعادتها حيال ذلك. والذي لم تعرفه سينتيا انه في الوقت الذي كانت كلوديا تقبل باختيار ستيفان لأي عروس يختارها طالما ان الفضيحة بعيدة عن العائلة، وكان من الممكن ان تتلطخ سمعة العائلة وتتعرض للشائعات لو ان باربرا ثورنتون طلقت أخا لتذهب الى شقيقه الآخر! ما زالت سينتيا تشعر بالإذلال من إدراكها انها كانت دائما الاختيار الثاني لستيفان، ستارة من دخان للعلاقة التي كان يقيمها مع زوجة شقيقه، ولكن لم يكن هناك من حاجة للتأكيد عندما توفي أليكس ثونتون بحادث تحطم الطائرة.

اتصل بها ستيفان بسرعة عبر الهاتف خلال دوام عملها في الفندق لينقل اليها الخبر، وبدا واضحا انه يعاني من صدمة، ولكنه كان يعرف ان عليه تحمل

مسؤولية تسوية كل التفاصيل الضرورية بعد مأساة كهذه. ذهلت سينتيا من الخبر مع أنها لم تكن تعرف أليكس جيداً. وهو لم يكن يحبها أكثر مما تحبها والدته، ولكنه دائما كان بالغ التهذيب معها في المرات القليلة التي التقيا بها. لم يبدُ هذا منصفاً بحق رجل ذي ذهن متيقظ وحيوية لا متناهية، أن يقتل بهذه الطريقة، لأنه شقيق ستيفان. كانت سينتيا متورطة في هذه المأساة، ليس لأن الشقيقين كانا متقاربين، فلقد كانت طباعهما مختلفة. ستيفان كان مسترخيا وساحراً وأليكس رجل أعمال صعب المراس. ولكن هذا لن يغير حقيقة ان أليكس هو شقيق ستيفان وعلاقة القربى موجودة بينهما ولو انها كانت عن بعد.

عرضت سينتيا:«سوف اترك عملي وآتي.» بمجرد ان اخبرها ستيفان. ولكنه رفض على الفور:«لا داعي لذلك، سوف اعتني بأمي وباربرا لفترة ما في البيت.» قدرت له سينتيا ذلك، ولكن كونها خطيبته فمن الواجب ان تكون الى جانبه خلال هذه المحنة! وبما ان لا عائلة لها:«قدرت كم ان امرأتي ثورنتون منهارتان من جراء خسارتهما، ولكن بالتأكيد كان هناك ما تستطيع القيام به للمساعدة. سألته متعاطفة:«كيف هو حال والدتك وباربرا؟»

قاطعها ستيفان:«وكيف تعتقدين أنهما؟» وتنهد بعمق:«انهما في حال مروعة. أمي منهارة وباربرا تعاني من حالة هستيرية.»

قالت:«عليّ ان اكون هناك يا ستيفان.»

صاح بقسوة:«كلا.»

جفلت من غضبه الواضح تجاه الاقتراح:«ولكنني متأكدة انني استطيع...»

اجاب بحدة وحزم:«قلت لا مجال لذلك، يا سينتيا. اسمعي، علي الذهاب.» ثم اضاف:«سوف اكلمك لاحقاً.» وأقفل الخط بجفاء.

انتبهت سينتيا الى فضولية موظفة الاستقبال الأخرى، تنظر إليها وتمسك بسماعة الهاتف لفترة طويلة بعد ان أقفل الخط. وضعت السماعة ببطء عندما لاحظت النظرات الفضولية وأفكارها لا تزال منصبة على ستيفان. كان منزعجا ولم يلاحظ انها منزعجة من محاولة اسكاتها بهذه الطريقة. وآخر شيء يحتاجه هو ان تنفعل تجاه محاولته إهمالها، كان عليه تهدئة والدته وباربرا وهذا كان كافياً ولكن لم يكن من السهل عليها انهاء فترة عملها المسائية. حاولت ان تبدو وكأن كل شيء طبيعي، وطاقم الفندق سيعلم بوفاة أليكس ما ان ينشر الخبر، كانت سينتيا اكيدة ولكن في الوقت الحالي لم تعتقد ان ستيفان يريدها ان تتكلم عن الأمر. فكل الذين تعمل معهم كانوا يعرفون بأمر خطوبتها لستيفان ثورنتون، وكانوا لطيفين معها. عدا عن بعض التلميحات اللاذعة الى أنها سوف تتزوج الرئيس... والفضولية بشأن استمرارها في العمل اذا كان الأمر كذلك. الموضوع من السهل الإجابة عليه

من جهة سينتيا، إذ انها ترعرعت في دور الايتام والملاجىء، حيث كان المال قليلا دائما. ولم يكن من طبيعتها ان لا تعمل لتعيل نفسها، والحقيقة ان ستيفان احترمها لذلك مع أخذ حذرها من ان شعوره لن يكون هو نفسه بعد زواجهما. كان ذلك امرا سيناقشانه في حينه، هكذا قالت له سينتيا.

مع ذلك كانت اكثر من مرتاحة عندما انتهت نوبتها في العمل. واشترت بعض الحاجيات من محل قريب من منزل ستيفان في طريقها الى هناك. إذا كانت الأمور متساوية له هذه الليلة كما تخيلتها، فإن الطعام هو آخر ما سيفكر به، ولكنها ستشعره بالتحسن. دخلت الى الشقة بمفتاحها، وهي تعلم ان ستيفان ليس في المنزل. ولكن سوف يعود الى البيت في وقت ما هذه الليلة وعندما يحضر تكون قد حضرت له وجبة طعام، وشكت إذا كانت أي من المرأتين شعرتا معه في خضم حزنهما.

كانت تبقى في منزل ستيفان اكثر من منزلها. وتبقي الكثير من ثيابها هناك، وفي طريقها الى غرفة النوم لتغير زي عملها، وقبل ان تفتح باب الغرفة انفتح من الجهة الأخرى. ظنت ان ستيفان موجود في الشقة. ادركت هذا بسرور، انه هنا بعد كل شيء.

سأل صوت باربرا ثورنتون:«عزيزي، هل هذا انت؟»

وعندما فتح الباب أكثر تمكنت سينتيا من رؤية المرأة كما تسمعها، وحينما نظرت الى قميص النوم

الأخضر الباهت الذي كانت ترتديه باربرا تراجعت خطوة الى الوراء وقداكفهر وجهها. ماذا تفعل باربرا هنا في غرفة نوم ستيفان؟ ولماذا هي مرتدية مثل هذه الملابس؟

قربت باربرا عينيها الخضراوين عندما نظرت الى سينتيا وقالت له ببرود:«ظننت انك ستيفان.»

عزيزي هو ستيفان؟ ما هذا؟

تشدقت باربرا بازدراء:«لا تنظري بذهول، يا سينتيا.»

مشت من غرفة النوم الى غرفة الجلوس، وقالت لسينتيا بصوت غير مهتم:«إنني انادي ستيفان عزيزي منذ وقت أطول من ان أذكره.» لم يكن ذلك امام سينتيا، ولا أي واحد من افراد العائلة، كما تعرف سينتيا، وراقبت المرأة الأخرى تتجول في الغرفة وتفتح صندوق السجائر الذهبي الذي كان على طاولة القهوة، صندوق سجائر لم تكن سينتيا لتفهم ابدا سبب وجوده دائما مليئا، ستيفان لا يدخن. هل من الممكن انها من أجل باربرا؟ وإذا كان كذلك، فلماذا؟ لم تزل سينتيا جامدة، وغير قادرة، والمرأة الأخرى تأخذ سيجارة وتلتفت الى ناحية سينتيا بحاجبين مرتفعين بسخرية. أهذه هي المرأة التي تعاني من حالة هستيرية؟ وبدت باربرا مسيطرة تماما على اعصابها وعلى الموقف! راقبتها سينتيا من خلال سحابة من الدخان. كانت الافكار تتدافع في رأس سينتيا ولم ترد ان تعلم او تصدق

الأفكار غير المعقولة التي لا يمكن ان تكون صحيحة. ولكن...

قالت سينتيا بجفاء:«انا آسفة بشأن أليكس.» وكانت لا تزال تنظر الى المرأة مأخوذة وغير مصدقة لما تفكر به، لا يمكن ان يكون حقيقيا، لا يمكن! ارتجفت باربرا من ذكر زوجها وتجمدت عيناها الخضراوان. وقالت بقسوة:«وأنا كذلك، الموت شيء نهائي، لم تكن هذه الطريقة التي أردت ان تنتهي إليها الأمور.»

عبست سينتيا مجددا، ماذا تقصد هذه المرأة بذلك؟ وسألتها:«وأين ستيفان؟»

أخذت نفسا آخر من سيجارتها:«مع والدته وسوف ينضم إليّ عندما يستطيع التخلص منها.»

اجابت سينتيا بقسوة:«انت تنتظرين عودته الليلة، إذا؟»

لقد كانت في حاجة ماسة الى مكالمته ليخبرها بأن ما تراه ليس صحيحا، فهو وحده يستطيع تفسير هذا. ورقّ صوت باربرا:«آه، أجل، لقد وعدني بأنه لن يتركني بمفردي لفترة طويلة، وهو يعلم كم انا بحاجة إليه الليلة.»

كانت المرأة في انتظاره في غرفة نومه... ستيفان! صرخت سينتيا بداخلها، انا بحاجة إليك، انا بحاجة لتخبرني ان كل هذا هو خطأ فظيع، وأن باربرا لا تقصد ما أتصور انها تعنيه!

لكن هذه الافكار بقيت تتراكم في رأسها. فقساوة

ستيفان معها على الهاتف قبلا، وإخبارها بأن لا تذهب الى منزل والدته، وأنه لا داعي لوجودها هناك. بالطبع كان لوجودها داع، لو أنها استطاعت ان تكون هناك من أجله؟ إلا إذا... كان لا يحتاجها. ليس لأن باربرا أصبحت حرة... هذا لا يمكن ان يكون صحيحا، لا يمكن. ستيفان احبها، وطلب منها الزواج. ولكن مع ذلك، هذه الافكار تتأجج في داخلها الان، وترفض ان تتركها. كانت باربرا لا تزال تنظر إليها وهي جالسة على كنبة وتضع رجلا فوق رجل:«سوف أخبره انك اتصلت.» تشدقت بازدراء من تعبير وجه سينتيا المرتبك.

قالت سينتيا:«سوف أنتظره.»

نظرت إليها المرأة بإشفاق وقالت:«هل تظنين ان هذا صواب؟»

بلعت سينتيا ريقها بصعوبة:«صواب؟» قالتها باهتزاز ورد فعلها بدأت تظهر بوضوح.

تنهدت بنفاد صبر:«آه، تعقلي، سينتيا، هيا؟» نصحتها باربرا بنفور وهي تطفيء السيجارة بعصبية:«لا يمكن ان تكوني بمثل هذه السذاجة. بالتأكيد أصبح واضحا لك الآن، إنني على علاقة معه منذ عدة سنوات...»

«كلا!» وضعت سينتيا يديها على أذنيها، والمرأة الأخرى تقول اشياء تحاول جاهدة أن لا تفكر بها. «ستيفان يحبني، إنه... إننا مخطوبان!» رفعت يدها اليسرى بانتصار، ولمع خاتمها عندما فعلت ذلك.

قالت باربرا بقسوة:«هِمم، هذه ضربة ذكاء من ستيفان. أصبح أليكس مشككاً بأمرنا، كما ترين. ولكن بضربة حظ قابلك ستيفان ليلة ذكرى ميلاد والدته. طبعا، في الحقيقة بدأ الأمر مع ستيفان بأنه أراد ان يرسمك. ولكن خلال تلك الليلة أدركنا كلانا ان مزاج أليكس السيء كان بسبب شكوكه عنا نحن الاثنين وليست بسبب تأخر ستيفان عن الحفلة. وهكذا قرر ستيفان ان يقوم ببعض التمويه.»

تمتمت سينتيا بعدم رضى:«ستيفان فعل هذا؟»

اخبرتها باربرا بهدوء:«آه، كان يرافقك على أي حال، يا سينتيا. كان دائما يرافق عارضاته. ولكنني كنت اعلم أن هذا لا يعني شيئا وإنني كنت الوحيدة في حياته، اسأليه ان يريك الرسم الذي رسمه لي في وقت ما.» اضافت ببحة:«أنا أكيدة انك ستجدينها مشعة جدا.»

نبرة صوتها فقط اوحت لسينتيا تماماً أي نوع من الرسوم سوف يكون! لم يكن يجدي ان تقول للمرأة الأخرى انها لا تصدقها، لأنها كذلك، فكل هذا منطقي حتى الآن. الطريقة التي رسم بها ستيفان في المرة الأولى، والطريقة التي تأخر بها عن موعدهما وإعلان نيته بالزواج منها منذ لقائهما الأول. كان كل هذا تغطية لعلاقته بزوجة أخيه، والآن باربرا هي حرة...

استقامت سينتيا وقالت:«من الأفضل ان أذهب.» كانت تشعر انها بحاجة الى الهرب الآن، قبل ان تنهار.

ونزعت خاتم خطوبتها قائلة:«ربما تستطيعين إعطاء ستيفان هذا.» اعطت الخاتم للمرأة. وتابعت:«انا لست بحاجة إليه بعد الآن...»

لم تقم باربرا بأي حركة لأخذ الخاتم منها وعنفتها برقة:«لا تكوني جبانة هكذا يا سينتيا، فعلى الأقل انت مدينة بمجاملة ستيفان بإعادتك الخاتم إليه شخصيا.»

أرادت ان ترميه في وجهه، وان تخبره كيف تفكر فيه وكيف استغلها، ولكنها عرفت انها اذا فعلت ذلك فسوف تتحطم كليا، وهذان الاثنان قد أذياها وأذلاها بما فيه الكفاية، لقد أحبت ستيفان كثيراً وهو كان يستغلها فقط. وضعت الخاتم على الطاولة. وقالت:«انا... اخبريه انني غيرت رأيي أدركت أني لا اريد الزواج منه.» قامت بسرعة وهي تعلم ان ما تريده حقا هو الإستجداء والتوسل له. ولتخبره أنه على خطأ، وأنها تستطيع إسعاده، مع علمها ان لا مستقبل لهما الآن وأن كل شيء قد انتهى. كل الحلم المستحيل. وادعت مدافعة:«أخبريه انني أدركت بأن روجر هو من أحب!...»

ركضت بسرعة نحو الباب قبل ان تنهمر دموعها وتذل بسببها.

قالت باربرا مقطبة الجبين:«روجر؟ لن أدعي، حتى أني اعرف من هو. ولكنني استطيع ان اؤكد لك، على أساس عملي من هو ستيفان، فهو ليس ذلك النوع من

الرجال الذي يريد استرداد خاتمه الآن وعلاقتكما قد انتهت وصدقيني...»

اضافت بصعوبة:«لقد انتهت.»

ردت سينتيا لباربرا إهانتها وقد احمر خداها غيظاً:«الظاهر ان ستيفان هو ذلك النوع من الرجال الذي يكون على علاقة مع زوجة أخيه في الوقت الذي يستعمل فيه امرأة اخرى ستاراً لتلك العلاقة.»

استهجنت باربرا:«لديك اعذارك للاعتراف.»

قالت سينتيا بتوتر:«ليس بعد كل ما حدث. جدي شخصاً آخر لتغطية علاقتك الصغيرة الدنيئة... إلى ان لا تعودي بحاجة الى ذلك، انا لا أنوي ان افعل ذلك بعد الآن!»

خرجت في الليل وهي بحالة يائسة الى الهرب، ذهبت الى الشخص الذي كانت تعلم أنه لن يسأل أي اسئلة، روجر.

التقت روجر في آخر ميتم عاشت فيه، عندما كانت في السادسة عشرة، كان الابن الأكبر في المنزل، ومعظم الوقت يقضيه في الجامعة ولكنه أصبح من أفضل اصدقائها خلال الأوقات التي يقضيها في المنزل، حتى في العطلات.

وحينما غادرت منزل آل كولينز وانتقلت الى العيش بمفردها بقي الاثنان صديقين. كانا يتقابلان بالصدفة بعد ذلك. وقد اعترض روجر على علاقتها بستيفان، ولكنه كان سعيداً من أجلها عندما خطبها ستيفان، مع

ان سينتيا لم تعتقد أنه فوجيء تماماً من الطريقة التي انتهى إليها الأمر. كم كان محقاً بأن يشعر بالقلق!

نظر إليها روجر نظرة واحدة وهي تقف بإعياء عند بابه قبل ان يقودها الى الداخل، وأعطاها شراباً قوياً قبل ان يضعها تحت الأغطية في غرفة النوم الإضافية. كل هذا من دون ان يسألها سؤلا واحداً.

عرفت سينتيا لماذا كانت شاحبة، عندما لمحت نفسها في مرآة الحمام، وبنظرة تائهة في عينيها تظهر كل ما تعانيه في داخلها وخيبة أملها. كل هذا يخبر عن نفسه.

توسل إليها روجر ان تبقى في شقته في اليوم التالي، ولكن سينتيا رفضت عرضه وهي تعلم ان عليها مواجهة الواقع، وقررت ان تذهب الى عملها في الفندق كالمعتاد، لم تحاول الفرار في حياتها من مواجهة أي موقف، لقد كان عليها ان تكون قوية مع كل عذاب الطفولة الذي عرفته، ولم تكن على استعداد لترك عملها في الفندق قبل ان تجد عملاً آخر. وإذا كان وجودها هناك يحرج عائلة ثورنتون فهذا جيد وحسن، انه ليس شيئاً يذكر في مقابل العذاب الذي عانته خلال ليلة السهاد الطويلة التي مرت، وكل الليالي التي ستأتي. لم تكن قد امضت اكثر من عشر دقائق في عملها عندما رأت ستيفان يدخل الفندق. شحب وجهها عندما مشى بخطوات سريعة الى حيث وقفت لتقوم بواجبها خلف مكتب الاستقبال. ليس هنا، تمنت

www.elromancia.com

في قرارة نفسها، آه... ليس هنا. وشعرت بالألم، بدا مخيفا من خلال الخطوط التي تظهر على وجهه، كأن ليلته كانت طويلة.

هل كان هذا في خلال اربع وعشرين ساعة مضت؟ فموت أليكس ترك تأثيره عليه، حتى لو كان مجرد شعور بالذنب من العلاقة مع زوجة أخيه بينما كان على قيد الحياة.

استقامت سينتيا مدافعة عندما وصل الى المكتب، متجاهلة النظرات الفضولية من موظفات الاستقبال عندما التقت بنظرات ستيفان من دون ان ترمش. إذا اراد ان يكون هذا مشهدا جماهيريا، فليكن!

«اين قضيت الليلة؟» سألها بدون ان يحييها وعيناه كقطعتين ذهبيتين. اين كانت طيلة الليل؟ لماذا؟ هي من كان يجب ان تسأله باتهام. وهو مع من كان؟

اجابت:«ذهبت الى الشقة يا ستيفان. هل اخبرتك باربرا؟»

«نعم، اخبرتني، وعندها اعطتني هذا.» وأمسك بخاتم خطبتهما في راحة يده والماسات تلمع:«اتصلت بشقتك لأعرف ماذا يجري، ولكن لا احد اجاب ولا حتى هذا الصباح.» سألهامن جديد:«اين كنت، يا سينتيا؟»

تحركت سينتيا من وراء المكتب وقالت:«دعنا نذهب الى مكان آخر يكون أكثر هدوءا لنناقش الأمر.» ولم تنتظر رده ولكن اقتادته الى غرفة اجتماعات صغيرة عبر قاعة الاستقبال، والتي كانت تعلم أنها غير محجوزة

اليوم. كانت تحس بوجوده وراءها وهي تمشي تلك المسافة، لذا فهي لم تكن بحاجة لتستدير وتراه لتعرف أنه يلحق بها. استدارت ناحيته عندما اغلقت الباب بهدوء وراءها. وفوراً قطعت الأصوات من الفندق وعمّ الصمت المطبق.

استفزها بنفاذ صبر ويداه في جيبي سرواله:«حسنا؟»

نظرت سينتيا الى مظهره بإمعان. ولاحظت البدلة الداكنة غير المعتادة والقميص الأبيض وربطة العنق. واضح ان هناك اشخاصا سيقابلهم اليوم بشأن دفن أخيه. هذا وقت أليم لكلينا. منحت ستيفان تنهيدة متثاقلة:«دعنا نقبل ما قمنا به كغلطة. ودع الأمر كذلك.»

نظر إليها وقال:«وإذا لم أرد ذلك؟»

هزت سينتيا رأسها بأسى:«لا اعتقد ان لديك أي خيار... لقد انتهى كل شيء بيننا الآن، حتى لو كانت الأمور مختلفة.» مع انها كانت لا تستطيع تصور أنه وباربرا سيقطعان علاقتهما الآن:«لا استطيع ان انسى ابدا ما فعلته لأليكس.»

شحب وجه ستيفان، وبدا أنه ترنح قليلاً قبل ان يستعيد السيطرة على نفسه من جديد وتنفس بعمق:«هل تعتقدين انني لا اشعر بالندم كفاية حيال ذلك الأمر يا سينتيا؟ انا في حاجة إليك معي الآن وليس لأن تنقلبي ضدي.» أخبرها بحنق والألم يعصر وجهه.

www.elromancia.com

ما عناه هو أنه ما يزال في حاجة إليها لتكون درعاً لعلاقته بباربرا وستكون فضيحة أكبر لو انتشر الخبر بسرعة بعد وفاة أليكس. هزت رأسها من جديد:«لن أعيش تلك الاكذوبة مجددا يا ستيفان...» قالت بأسف عميق:«انا آسفة بشأن موت أليكس، حقا انا كذلك. ولكن في الوقت نفسه لقد جعلني ذلك أدرك مدى الخطأ الذي ارتكبته حتى في التفكير بأننا يمكن ان نتزوج ... روجر...»

استدرك ستيفان غير مصدق:«هل كنت معه ليلة أمس؟»

أكدت له بثبات:«نعم، لقد قضيت الليلة في شقة روجر. لقد ظننت ان بابرا كانت...»

قاطعها فجأة وقال بتثاقل:«لقد انتهى الأمر إذاً؟»

بلعت سينتيا ريقها بصعوبة وقالت بصوت أجش:«نعم لقد انتهى.» متمنية ان لا تبكي، ليس قبل ان يذهب ستيفان بعيداً، وبعدها تعرف انها لا تستطيع ان توقف فيضان الدموع الذي يهدد بالإنهمار، متابعة:«لم يكن يجدر بنا ان نبدأ بها، أليس كذلك؟»

اجابها:«لقد اردتك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها.»

فكرت سينتيا، كما أراد كل النساء اللواتي رسمهن. وعلاقتهما ذهبت خطوة واحدة أبعد... الى حدود الخطوبة لأنه وباربرا خافا ان يكتشف أليكس امرهما.

قالت سينتيا بحدة:«هذا ليس كافياً يا ستيفان. ليس بالنسبة إليّ، كان يجب ان يكون هناك اكثر من ذلك من أجل العلاقة، تبادل ثقة.» كانت تثق به تماما حتى مساء امس، ثم اضافت:«روجر وأنا... هو يعرفني، ويفهمني، وليس عنده ارتباطات أخرى تأخذه بعيداً عني. هذا ما اريده من رجل حياتي.» نظرت إليه من دون ان ترمش عيناها، وهي تتمنى ان يذهب.

استمر ينظر إليها لدقائق طويلة ثم اطلق نفساً عميقاً عندما رأى انها تعني ما تقوله:«اتمنى ان تكوني سعيدة، يا سينتيا.»

اومأت برأسها:«وأنا ايضاً اتمنى لك ذلك.»

لوى فمه بمرارة:«لا أرى هناك فرصة كبيرة لذلك.» ومشى نحو الباب ولكنه لم يرحل. تردد قبل ان يستدير ويقول:«إذا غيرت رأيك...»

اكدت له بسرعة:«لن افعل.» ربما تريد ذلك ولكنها تعرف انها لن تفعل فهي تريد ان تكون الوحيدة في حياة الرجل الذي سوف تتزوجه، إذا تزوجت، والآن ربما هي تشك بأنها ستفعل.

اومأ ستيفان قائلا:«اعتقدت انك ستقولين ذلك ولكن صدقيني يا سينتيا لا أهمية لمدى ما سوف تعتقدين انك تكرهين.» ورحل بهدوء.

نظرت سينتيا إليه بعد استعادة الماضي، كان ينام بسلام، ولم تستطع ان تمنع نفسها من التعجب مرة اخرى عما جرى له خلال السنوات السبع الماضية.

فهو وباربرا لم يتزوجا. مع ان المرأة الاخرى تبدو مهمة كثيرا في حياته. وروجر ما زال جزءا مهما في حياتها. ولكن علاقتها به كانت دائما كعلاقة أخ بأخته، ولم يكن بينهما أي ارتباط غير هذا. ولن تكون غير ذلك. فهناك شخص مميز جدا في حياة روجر وهما متفقان منذ فترة طويلة. ولم تعرف سينتيا الجزء الذي لعبته ريبيكا في حياة ستيفان. يبدو ان الفتاة قررت انها لا تريد الاستمرار بلعب ذلك الجزء في حياته، والذي عرفته سينتيا من دون شك.

الفصل الثامن

حثها صوت بنفاد صبر:«هيا يا سينتيا، افتحي.»
نزلت سينتيا على السلم متعثرة لترد على قرع الباب، وهي تزيح خصلات شعرها الى الوراء عن وجهها، هارعة عبر باب غرفة الجلوس الصغيرة لتفتح الباب الخارجي، وترمش عينيها من أشعة شمس نيسان/ ابريل الساطعة، وتتركزان على روجر بصعوبة وهو يقف عند عتبة الباب.
احتج قائلا:«اما زلت نائمة. هل نسيت اننا سنلعب الغولف هذا الصباح؟» لم ينتظر إجابة عن سؤاله الأول، فكونها لا ترتدي ملابس الخروج كان إجابة كافية، ومر أمامها الى غرفة الجلوس. فكونه قصير القامة لا يواجه أي صعوبة من السقف المنخفض كما فعل ستيفان.
تذكرت سينتيا فجأة النائم فوق، وانتابها شعور بالذنب وكرهت ان تفكر بما سيقوله روجر بخصوص هذا الموضوع إذا علم انها قابلت ستيفان من جديد وأنه ينام فوق!
كان روجر يشمئز من سلوك ستيفان منذ سبع سنوات عندما أخبرته سينتيا ماذا حصل لها تلك الليلة، وكان اكيدا من أنه لن يكون مهذبا إذا ما قابله من جديد. كان في مقدورها فقط ان تتمنى لو انه يبقى نائما

www.elromancia.com

الى ما بعد ذهاب روجر. وكانت قد نسيت دورتهما المعتادة بلعب الغولف صباح كل احد، كما نسيت ان اليوم هو الأحد.

«انا...» بدأت في الكلام حين تشدق صوت بسخرية خفيفة:«إنها غلطتي، كما اخشى.»

دارت سينتيا بحدة لترى ستيفان واقفاً عند باب المطبخ بكامل ثيابه يشرب كوباً من القهوة، ومن الواضح انه استيقظ منذ بعض الوقت. ماذا عنى بذلك، انها كانت غلطته؟

نظرت إليه بإرتياب لأنها لا تستطيع ان تنظر الى روجر اساسا، بالتأكيد انه عرف الرجل الآخر الآن، فستيفان لم يتغيّر الى هذا الحد. بدا مرتاحا تماما ومسيطراً وهو ينظر إليها عبر الغرفة وحاجبه مرفوع بتهكم:«اخشى انه بعد... ليلتنا المضطربة. كانت سينتيا بحاجة ماسة الى الراحة، وهكذا تركتها نائمة.»

كادت سينتيا ان تصرخ عالياً من تلميح ستيفان الواضح. لقد أخبر روجر انهما قضيا الليلة معا، وكانت سينتيا في حاجة الى الراحة لأنها كانت مرهقة منه! لم تكن فقط كذبة مزعجة، بل بعيدة عن الواقع، عندما كان غير قادر على فعل شيء بسبب كاحله. مع أن... ربما لا، واحمر وجهها عندما استرجعت ذكرى علاقتهما في الماضي. تمنت لو انها تستطيع السيطرة على احمرار وجهها.

كان روجر ينظر إليها بعدم رضا عندما رأى ذلك الاحمرار كحياء محرج من جهتها.

عرض ستيفان بخبث بريء:«اتريدان فنجاه قهوة؟»

قالت سينتيا:«لا اريد شيئا.» وهي تنظر إليه قبل ان تلتفت ناحية روجر:«لقد التقيت ستيفان بالصدفة منذ بضعة أيام.»

قاطعها ستيفان بتعاطف:«انا أكيد ان روجر غير مهتم بكل التفاصيل حول كيف التقينا من جديد.» ومشى عبر الغرفة الى حيث يقفان من دون العكازين وبعرج لا يكاد يبدو عليه، والرباط مخبأ تحت جوربه الأسود. ان الراحة اليسيرة من ليلة أمس، والنوم الجيد ليلا، بدا انهما عملا العجائب لقدمه المصابة. إلا إذا كانت غير مؤلمة كما بدت! نظرت إليه سينتيا بتشكك عندما وصل الى جانبها، بالتأكيد لم يبالغ بإصابته أمس، وإذا كان كذلك، فلماذا؟

اضاف ستيفان بصوت أبح:«يكفي اننا فعلنا.» ووقف ملتصقا بسينتيا اكثر مما تمنت ويده تلامس يدها، ليزيد الانطباع الحميمي لروجر، ادركت سينتيا ذلك بإحباط.

اخبرت روجر بقليل من اليأس:«لو تمهلني خمس دقائق لأغير ثيابي، يا روجر، سوف أنضم إليك من أجل دورة الغولف.» فحالما تستطيع الكلام مع روجر بمفردهما تستطيع ان تشرح له ماذا حصل بالضبط يوم أمس. فمع ما أثاره ستيفان من ارباك

www.elromancia.com

ومزاج سيء، كان من الخطأ القيام بذلك الآن. بدا روجر محتاراً اكثر منه متضايقاً الآن. كما وجب عليه ان يكون. فكرت سينتيا بأسف، وتحركت قاصدة ان تبتعد عن ستيفان، فقد كانا يبدوان كزوجين تماماً، وهما يقفان جنباً الى جنب بهذا الشكل.

قال روجر بسطحية:«نستطيع ان نلغي اللعب، إذا كنت تفضلين.» وتجهم وجهه عندما نظر الى الرجل الآخر.

كان التقاء الرجلين نادراً في ما مضى، ولكن من جديد صدمت سينتيا من الفارق الجسدي بينهما، فستيفان أطول من روجر بكثير، ويبدو روجر صبيانياً بشعره الكثيف المنسدل على جبينه ولا يملك اياً من مواصفات القوة العضلية التي يهتم بها ستيفان كثيراً، فهو لطالما ملك نضوجاً جسدياً اكثر من الرجل الآخر، ولكن القسوة المتهكمة، كانت جزءاً متمماً له، إضافة الى الانطباع الذي لم يكن في صالح روجر قط.

اقترحت سينتيا بخفة على روجر:«اجلس وسأحضر لك فنجان قهوة بينما تنتظر.» فإذا جلسا لن تظهر فوارقهما الجسدية!

تحركت بعصبية عندما أمسك بها ستيفان من يدها وهي تتحرك ناحية المطبخ. نظرت إليه بخوف وأصابعه دافئة وناعمة على خصرها.

قال بصوت أبح:«اريد ان المزيد.» وهو يمسك بفنجانه الفارغ يبتسم لها بعينين دافئتين.

كانت سينتيا محتارة من سلوكه وأخذت الفنجان بحركة

مضطربة، متحاشية ان تلمس يدها يده. ومضت بعيداً لتسقط ذراعه الى خصرها. ومنعت نفسها من إطلاق تنهيدة ارتياح لإفلاتها منه. وأحست بشعور الغضب من نفسها على الفور لأنها تأثرت به. ستيفان لم يكن بالنسبة لها أكثر من ازعاج غير ضروري، وكلما اسرع بالخروج من حياتها كان ذلك افضل لها!

وافقها روجر وهو ينظر الى الساعة:«سوف اشرب القهوة، وأرحل لأنني وعدت أمي بتناول الغداء معها.»

عرفت سينتيا ان هذا هو عذر فقط للإنسحاب لأنهما معتادان على لعب الغولف لثلاث او اربع ساعات ثم يتناولان غداء متأخراً في النادي، وبعدها من المحتمل ان يذهبا لزيارة شيلا معاً.

فسينتيا بقيت على علاقة طيبة بكل عائلة كولينز، وقد أمضت مع شيلا عدة أسابيع بعد وفاة زوجها منذ خمس سنوات. وهي غالباً ما تذهب للاطمئنان على والدته لتتأكد من انها بخير.

قالت سينتيا بحدة:«سوف أحضر القهوة وبعدها نتكلم.» ذهبت الى المطبخ فحاولت ان تسرع قدر الإمكان إذ انها لا تعرف ما قد يدور بين الرجلين في غيابها.

لم يكن يحق لستيفان ان يبدو مرتاحاً وسعيداً هذا الصباح. فكرت بسخط وهي تحضر القهوة. فبعد ان تركته في غرفة النوم الإضافية ليلة أمس، لم تستطع

www.elromancia.com

النوم قط. ولكنها استلقت مستيقظة لوقت طويل بعد ان صعدت الى السرير منزعجة جداً من وجوده في منزلها. بدا وكأنه نائم كالطفل طيلة الليل. ومزاجه لا يحمل أي شيء من الغضب الذي أظهره الليلة الفائتة، عندما عادت مع عدة الرسم. بدا الأمر وكأنها في بيت واحد مع أشباح!

لقد نسيت كلياً موعد لعب الغولف مع روجر، مع انه لم يكن في استطاعتها إبعاد ستيفان حتى لو تذكرت، خصوصاً وان الهاتف معطل. تباً! لم يكن الرجلان يتكلمان عندما عادت بالقهوة. ولم يكن ستيفان منزعجاً من ذلك. مع ان روجر بدا متضايقاً او اقل ارتياحاً برفقة الرجل الآخر.

تعاطفت سينتيا معه فهي تشعر بنفس الطريقة تجاه ستيفان.

«شكراً.» اخذ ستيفان فنجان القهوة بابتسامة تضاعفت دقات قلبها تجاهها، وهو يجلس على الكنبة، مرتاحاً تماماً. اضاف قائلاً بسعادة: «هذا مثل الأوقات القديمة تماماً.»

كانت سينتيا على وشك ان تصفعه إذا لم يتوقف عن ألاعيبه. فقد كان يعي ان ثلاثتهم لم يتقاسموا أي اوقات قديمة وانه التقى بروجر ثلاث مرات فقط، وفي كل مرة كانا يبدوان كخصمين ينظران الى بعضهما في حلبة مصارعة!

روجر كان هو الذي أجابه بجفاء: «انت تعرف تماماً،

يا ثورنتون، انني لست سعيداً بتورطك مع سينتيا هذه المرة كما في المرة الماضية.» ثم تابع بتجهم: «وإذا انت...»

صاحت سينتيا بإحراج: «روجر، ارجوك!» ونظرت إليه معاتبة.

قال ستيفان برقة: «كلا، دعيه يقول ما عنده.» وكانت نظرته مسلطة على الرجل الآخر.

التوى فم روجر وأكد بجفاء: «انا انوي ذلك. إذا أذيت سينتيا مرة اخرى سوف اتكفل شخصياً بتعذيبك القدر ذاته من العذاب الذي عانت منه في المرة الماضية.»

كان هناك خطر في هدوء ستيفان: «حقاً؟ وكيف تنوي القيام بذلك؟»

اجاب روجر: «أنا...»

قاطعته سينتيا بحدة: «انت سوف توقف هذا الآن. لأن ستيفان لا يمكن له ان يؤذيني من جديد.» فستيفان لن يستطيع أذيتها ما ان يعود الى شقته ولن تعود مجبرة على رؤيته مرة اخرى. وفي نيتها فعل ذلك في اسرع وقت ممكن، فمن الواضح انه قادر على الإعتناء بنفسه اليوم.

قال ستيفان بصوت أجش: «سينتيا على حق، انا لا أنوي ايذاءها.»

أخبره روجر بعينين متقاربتين وبقسوة: «ما تنوي وما تفعل، يبدوان أمرين مختلفين تماماً. لِمَ لا تبقى خارج حياتها، يا ثورنتون؟»

elromancia.com

سارعت سينتيا الى التدخل:«اخبرتك يا روجر ان هذا الحديث لا داعي له اطلاقا ومحرج تماما! لقد التقينا بالصدفة، وليس عن سابق قصد من ناحية أي منا!» فليس أي واحد منهما كان من المحتمل ان يعرف الظروف التي سيلتقيان فيها مجددا!

كان روجر لا يزال عابسا:«لقاء بالصدفة لم يتردد في استغلاله.» ونظر الى ستيفان باحتقار.

اتهمه ستيفان بقسوة:«كما لم تتردد انت في استغلال الموقف منذ سبع سنوات!» وأصبحت عيناه كقطعتي حديد وفمه كخط رفيع وجسده منقبضا تماما وهو يميل الى الأمام في مقعده.

اعلمه روجر ببرودة:«كنت هناك لأجمع الشتات، نعم.»

قال ستيفان:«امثالك يشعرونني بالغثيان!»

«الرجال مثلك!»

قاطعت سينتيا بنفاد صبر:«قلت توقفا! انا لست عظمة بينكما يمكن لكل منكما ان يتصارع عليها. وعلى ما يبدو فقد نسيتما انني راشدة، ولي تفكيري الخاص بي، وفي استطاعتي أخذ القرارات التي تناسبني. ويسعدني في هذه اللحظة ان تخرسا!» كانت تتنفس بسرعة من شدة توترها.

قالت لستيفان بقوة:«انت سأنقلك الى المدينة حالما أغتسل وأرتدي ملابسي.» واستدارت ناحية روجر:«وأنت سوف اتكلم معك حول هذا الموضوع

عندما تكون في حال فكرية افضل، وهذا ليس الوقت المناسب لنفعل ذلك.» اضافت وهي تنظر ناحية ستيفان فهو كان مستفزا منذ ان حضر روجر:«لا استطيع تحمل المزيد.»

وقف روجر فجأة واضعا فنجان القهوة الممتلىء على الطاولة:«إذا احتجتني تعرفين أين تجدينني.» وتقدم ليقبل سينتيا من خدها بخفة مضيفا بتجهم وهو ينظر اليها بشفقة هازا برأسه:«وإذا سمحت لنفسك بالتورط معه من جديد فلا بد انك ستكونين بحاجة إليّ.»

وقف ستيفان وقال ساخرا:«أبهذه الطريقة تحاول البقاء في حياتها يا كولينز؟ بأن تبقى دائما قريبا لتجمع الشتات؟»

«أيها السافل.» كانت رد فعل سينتيا غريزية، وتقوست يدها وهي ترفع اصابعها لتقوم بصفع ستيفان على وجهه. وعلا صوت الصفعة بصمت الغرفة وبدأت بصمات اصابعها تظهر على وجهه المتقلص، بينما سقطت يد سينتيا الى جانبها. وحده ستيفان يستطيع ان يستثيره ردة فعلها العنيفة!

حذرها روجر بسخرية:«استمري في التفكير بهذه الطريقة، يا سينتيا، لأن هذه هي الحقيقة!»

كانت سينتيا مرتعبة من ردة فعلها وحملقت برعب غريب الى وجه ستيفان بينما كان لون خده يتغير، وانطبعت أصابعها بلون أبيض على وجهه الاسمر. لم يقل ستيفان شيئا، فقط استمر ينظر إليها لدقائق

www.elromancia.com

طويلة قبل ان يستدير لينظر الى الرجل الآخر قائلا:«اعتقدتك قلت انك ذاهب؟»

انبهرت سينتيا من غطرسته ولم تكن تعرف سبب شعورها هذا تجاهه. فهي بالتأكيد لم تتصور ان ردة فعلها الطبيعية على إهانته الواضحة لروجر سوف تغير شيئا من كرهه الرجل الآخر. ذكرته سينتيا:«هذا بيتي يا ستيفان، وروجر مرحب به أكثر منك، في أي وقت.»

رفع حاجبيه بازدراء وقال برقة متحدياً:«ولكن أنا من قضى الليل هنا معك.»

ذهلت سينتيا من جديد من التلميح المباشر في كلماته، فكلاهما يعلم انه لم يمض الليلة معها ولكن مع ذلك فقد كان مصمماً على اعطاء روجر هذا الانطباع:«أنت...»

اجابه روجر ببرودة:«سينتيا دائماً بلهاء عندما يتعلق الأمر بك.» كانت يداه متقلصتان الى جانبه. ثم تابع:«ولكن اتمنى ان تقول لك الى أين تذهب هذه المرة.»

نظر الى سينتيا بغضب، طالبا منها ان تفعل ذلك. «فليذهب الى الجحيم!» واكفهر وجهها من الغضب عندما نظرت الى ستيفان.

بدا كلامه مراوغا:«وعدت.» وتابع بخبث:«فات الأوان يا سينتيا، لقد كنت هناك.» وتابع بقسوة وعيناه تلمعان:«ولا انوي العودة الى هناك!»

«انت...»

قاطعه روجر بتهكم:«اعتقد ان الوقت قد حان لأترككما تناقشان هذا بينكما.» وتحرك يحتضن كتفي سينتيا بين ذراعيه قائلا بلطف فيما نظراتها معلقة بنظراته:«ولكن لا تعتقدي بأنه تغير، يا سينتيا. لأنه سوف يحطمك كليا من جديد.»

كانت تعلم انه على حق، وكانت تعلم انه ليس على ستيفان حتى المحاولة، إذ ان وجوده في حياتها كاف فقط لتحطيمها، ولهذا عليه ان يكون خارج حياتها في أسرع وقت ممكن!

اكدت له بقسوة:«سوف يذهب، يا روجر، وحالاً.»

قال ستيفان برقة:«حسنا حالما تضع عليها بعض الملابس، على كل حال.»

استدارت سينتيا ناحيته بقوة مليئة بالغضب على شكله الهازىء بينما كان يرد نظراتها. قالت بتوتر وعيناها لم تتحركا عن ستيفان:«ربما من الأفضل ان تذهب يا روجر فما علي قوله لستيفان من الافضل ان يتم بيني وبينه.» ستستطيع ان تقول له تماما ما تعتقده فيه، وعن تلميحاته ما ان يصبحا وحيدين.

ربت روجر كفه على كتفها قبل ان يتركها قائلا:«سوف اتصل بك.» من دون ان يولي ستيفان أي نظرة. وأغلق باب الكوخ وراءه برقة.

عم السكون بعد رحيل روجر، قبل الانفجار الكبير. لأن سينتيا لم تشك للحظة بما سوف يحدث، ولأنها نوت ان تكون هي من يقوم بذلك. كانت عيناها تلمعان

www.elromancia.com

بشدة عندما استدارت لتنظر الى ستيفان، واتسعت عيناها بالغضب العميق عندما عرج الى الكرسي وجلس عليه بوهن، وتعبير الألم عاد الى وجهه.

قالت سينتيا باستهزاء:«لا تحاول استدرار عطفي كمحاولة لمنعي عن رميك الى الخارج، بعد هذا العرض الذي قدمته أمام روجر أنوي ان اجعلك تعود سيراً على قدميك الى المدينة.»

تراجع ستيفان في جلسته الى الوراء بوهن وأغمض عينيه لبضع ثوان قبل ان يعاود النظر إليها من جديد. وقال بقسوة:«هذا تماما ما كان يحدث يا سينتيا، ولو بقي كولينز أكثر ربما كنت سأنهار عند قدميه.» ختم كلامه بتجهم.

لم تتغير تعابير سينتيا:«وبعد الانطباع الخاطئ الكامل ربما حاولت تركك هناك.»

اومأ فجأة:«لا أشك بذلك.»

اجابته بنفاد صبر:«وماذا اعتقدت نفسك فاعلاً؟ ألا يكفي ان روجر علم بأمرنا منذ سبع سنوات، دون ان تقوده إلى الاعتقاد...»

قال ستيفان وهو يجلس بتململ:«كنا مخطوبين منذ سبع سنوات. ولماذا لا يعرف بأمرنا؟»

قالت بسخط:«ليس هذا ما قصدته... وانت تعرف ذلك وهو يعرف كيف انتهينا ولماذا، ولتعطيه انطباعاً كاذباً بأن هناك شيئاً بيننا مرة اخرى الآن، كان...»

«طبعاً هو يعرف سبب انفصالنا، يا سينتيا.»

نهض ببطأ وتحرك ناحيتها. قال بقسوة وهو يقف أمامها:«ولكن إذا لم يكن كولينز هو السبب...»

قالت سينتيا محدقة فيه:«لم يكن هناك احد منذ سبع سنوات! لقد كان هناك من اجلي، يا ستيفان، عندما...»

قاطعها ستيفان بتجهم:«عندما لم استطع ان أكون! ولكنني هنا الآن، يا سينتيا.»

«ليس لوقت طويل! قلت لك حالما أرتدي ملابسي سوف أقلك الى المدينة، لا أبه أين، طالما أنه بعيد من هنا.»

بدا وكأنه لم يعد يستمع إليها، وتذكيرها بأن عليها ارتداء ملابسها بدا وكأنه لفت انتباهه الى حقيقة انها تقف أمامه وهي ترتدي فقط روباً حريرياً رقيقاً فوق قميص نوم حريري مساو له.

رفع رأسه الذي كان مرتاحاً على كتفها عندما أحس بحركة رفض عفوية قامت بها سينتيا. وعندما رأى تعابير الألم في عينيها العميقتين اختفت السعادة ببطء عن ملامحه القاسية، وتقطيب داكن ارتسم على حاجبيه وهو ينظر إليها:«لم نقم بشيء خطأ!»

لم يتعانقا منذ سبع سنوات، وحتى مساء أمس كان ستيفان على وشك الزواج من امرأة اخرى. فكيف يقول ان هذا ليس خطأ؟ بالتأكيد كان خطأً بالنسبة إليها. دفعته من صدره. وابتعد عنها محرراً إياها من قبضته.

اقفلت سينتيا ازارها وقد احمر وجهها وهي تشده

www.elromancia.com

على جسدها تحت نظرات ستيفان المراقبة. «انت...» وقطعت كلامها عندما سمعت صوت سيارة قادمة، وقد ارتسمت معالم الجزع على ملامحها. من ايضا يمكن ان يسأل عنها يوم الأحد صباحا؟ إلا إذا كان روجر قد عاد لسبب ما؟

سمع ستيفان صوت السيارة في الخارج، وتقدم ليلقي نظرة عبر احدى النوافذ الصغيرة، غير مهتم، قال بقسوة وهو يستدير لينظر الى سينتيا:«إنه جيرالد.» بدت تعابيره وكأنها تتهمها بتجهم:«يبدو ان الرجال في حياتك يتساقطون فوق بعضهم اليوم، أليس كذلك؟»

«جيرالد هاركورت هنا؟ الآن؟» عندما هي ستيفان...؟ أه... كلا!

الفصل التاسع

قالت سينتيا بنفاد صبر:«لا تقف هناك وترشق اتهامات، هي مجرد تفاهات.» وطلبت منه تغيير ملابسه كي لا يراه في ثياب النوم.

«اشك في أن جيرالد هنا كي يراني!» ناولته ثيابه، وهي تنظر إليه وهو لا يأتي بأي حركة ليرتديها. فجيرالد على وشك الخروج من سيارته، سيقرع الباب الآن. تمنت فقط ان لا ينظر عبر النافذة اولا.

حثته بقلق:«ستيفان!» وهي تصوب نظرات قلقة نحو الباب. تحرك اخيرا مبتعدا عن النافذة، مع أنه لم يحاول ان يتحرك ليغير ملابسه:«ماذا تعنين بذلك، اتنكرين ان جيرالد هنا من أجل رؤيتك؟ هذا بيتك.»

ذكرته سينتيا بازدراء:«حتى يوم أمس كنت على وشك الزواج من ابنته.» وهي تسحب الستارة قليلا لتنظر خلسة من النافذة. وترجل جيرالد من السيارة وقطب حاجبيه وهو ينظر الى سيارة ستيفان المتوقفة على الطريق امام سيارته. «لقد علم انك هنا يا ستيفان.» وأسدلت الستارة قبل ان تلتفت لتنظر إليه. وما زال جامدا لا يحاول تبديل ملابسه:«إن كنت لا تود القيام بتغيير ملابسك.» وهي تشير الى الملابس التي في يده:«فعلى الأقل يجب ان تصعد الى الأعلى، حيث غرفة النوم حتى لا يراك جيرالد.»

www.elromancia.com

قال بعبوس:«لا أعطي أهمية لأمر رؤيته لي.»
قالت سينتيا بصوت قاس وهي تنظر إليه:«ولكن انا افضل ان تهتم بأمري. ستيفان، إذهب الى الطابق العلوي.» فهو لا يأبه لنفسه ولكنها لا تعلم كيف سيفكر جيرالد فيها، خصوصا مع جهله للماضي. وشكت بأنه سيبقى لمدة كافية لتوضح له ذلك. ما ان يرى ستيفان حتى يقوم باستنتاجاته الخاصة.
قال:«طبعا انا اهتم بأمرك! أي نوع من الرجال تعتقدينني؟»
قالت بإعياء:«صدقني لم أعد اعرف.» بينما كانت تسمع خطوات جيرالد في الخارج:«النوع الذي لن يهينني أمام والد ريبيكا، كما اتمنى.» ارادت منه ان يصعد الى فوق. ويداها متقلصتان الى جانبيها.
رد ستيفان برقة:«والد ريبيكا هل هكذا حقا تفكرين فيه؟»
«طبعاً، أنا... أوه، ستيفان ليس الآن.» حثته وهي تسمع دقات جيرالد على بابها:«ارجوك!»
لثوان لم يتحرك، وبعدها اومأ باستفزاز واستدار ليذهب الى المطبخ آخذا ملابسه معه... نظرت سينتيا الى غرفة الجلوس بقلق خوفا من ان يعود، ثم توجهت نحو الباب لترد على دقة جيرالد الثانية القوية. كان يعرف انهما موجودان في الداخل بسبب وجود سيارتيهما المتوقفتين في الخارج، فلا بد أنه كان يتساءل عما يشغلها.

شدت سينتيا حزام روبها حول وسطها. وهي تزيح خصلات شعرها الى الوراء عن وجهها. وأصلحت في مظهرها المزري. احمر وجهها من التوتر والبقعتان الحمراوان تتقدان على وجهها وهي تفتح الباب اخيرا.
قالت:«جيرالد.» حاولت ان تبدو مسرورة ومستغربة. الابتسامة المتبادلة لم تكن نابعة من قلبه بدا وكأنه لم ينم طوال الليل. خطوط الإعياء بادية حول عينيه. وبدا واضحا انه في الثالثة والاربعين.
قال:«حاولت ان اتصل بك قبلا، ولكن يبدو ان هاتفك معطل...» نظر إليها مستفهما ولم يحاول الدخول الى المنزل، مع ان سينتيا شرعت له الباب ليمر.
لن تلومه على حذره، فلا بد أنه متعجب لوجود سيارة ستيفان المتوقفة امام منزلها، قالت:«حصل حادث خفيف للشريط، كما اخشى.» ثم تابعت:«علي ان اتصل بمهندس ليأتي ويصلحه. تفضل بالدخول يا جيرالد، فالجو بارد كما اعتقد.»
كان جيرالد حريصا لدى دخوله الى المنزل إذ انحنى عندما مر عبر الباب، ولكنه عبس قليلا عندما رأى فوضى غرفة الجلوس، الأثاث المبعثر قرب الجدران.
احمر وجه سينتيا لعدم تنظيم الغرفة وقالت بوهن:«اعتذر للفوضى، ولكن انا...»
قاطعها ستيفان برقة:«انها غلطتي، كما اخشى.» اتيا من المطبخ بكامل ملابسه. ارتاحت لرؤية منظره. منحنيا بتثاقل على العكازين اللذين لم يكن بحاجة

اليهما باكراً هذا الصباح.
سأل جيرالد:«ماذا حدث؟» عندما صدم بمنظر العكازين وقدم ستيفان المضمدة.
حدقت سينتيا متعجبة مما سيقوله كجواب لفضول الرجل الآخر.
اخبر جيرالد بثقة:«لقد قدمت البارحة الى هنا لرؤية الآنسة سميث آملاً انها تستطيع ان تساعدنا اكثر في ما يخص ريبيكا. وعندما كنت هنا تعثرت بشريط هاتفها، ولهذا قطع الخط كلياً.» ثم اضاف برشاقة:«واصيب كاحلي فوق ذلك.» مستهزأ من نفسه.
ادركت سينتيا الحقيقة طبعاً، كان عليها ان تعرف ان ستيفان لن يفاجأ بوصول الرجل الآخر، كما كانت هي. ولماذا عليه ان يكون؟ ما قاله ستيفان، هو الحقيقة!
نظر جيرالد الى كاحل ستيفان باهتمام:«هل كسر؟»
اضاف ستيفان بخفة:«كلا، ولكنه مرضوض، لذلك لم استطع القيادة في طريق العودة الى المدينة مساء أمس.»
استطاعت سينتيا ان ترى السؤال في عيني جيرالد، إذاً لماذا لم تصحبه سينتيا الى المدينة!
تابع ستيفان:«طبعاً عرضت عليّ سينتيا اصطحابي الى المدينة ولكن تعرف حالة أمي الصحية.» ونظر في اتجاه جيرالد:«كان من المستحيل بالنسبة إلي الذهاب الى هناك.»

وافقه جيرالد بتقطيبة:«أجل... أجل طبعاً.»
«وعرضت عليّ سينتيا بلطف ان ابقى هنا ريثما استطيع الحراك.» وابتسم لسينتيا ابتسامات شكر، فقط قسوة نظرته كذبت اعترافه بالجميل.
سأل ستيفان:«هل من أخبار عن ريبيكا؟» استدار بحدة ناحية الرجل الآخر.
بدا جيرالد مأخوذاً للحظة ونظر بعدم ارتياح الى ستيفان.
كانت هناك أخبار جديدة كثيرة، كما كان ستيفان ظاهراً، فجازفت سينتيا بالتكهن بها في محاولة لإنقاذ الموقف.
مع ان تغيير الموضوع بدا وكأنه قد نجح في ابعاد انتباه جيرالد بعيداً عن حقيقة معرفة ستيفان لعنوانها. لأنه ما كان عليه ذلك، حسب المسار الطبيعي للأحداث!
قالت سينتيا جازمة:«قهوة، اعتقد اننا بحاجة الى بعضها.» اوضحت عندما استدار الرجلان ينظران إليها. وقالت بحدة:«وبعض الخبز المحمص ايضا.» بدت وجبات الطعام امراً من الماضي منذ وصول ستيفان أمس! تركزت عيناه عليها مستفهماً كما لو أحس بتوضيحها.
اومأ وهو يراقب سينتيا بتمعن، عندما التقت نظراتهما، وأضاف بتفكير:«علي ان آخذ مسكناً للآلام على كل حال.»
«جيرالد!» استدارت سينتيا بشكر الى الرجل الآخر

والتوتر على وجهه بدا وكأنه ازداد منذ ان طرح موضوع ريبيكا من جديد. آه، لم تبد الأخبار جيدة ابدا. أدركت سينتيا بانقباض.

اجابها:«شكراً. عليّ ان اعترف، بأن الفطور كان أبعد شيء عن تفكيري هذا الصباح، بعد...» وقطع كلامه بأسى وكأنه أدرك انه يعيد الموضوع الذي كان من الأفضل ان يضعه جانبا الى ان يتناولوا شيئا من الطعام والشراب. نظر الى سينتيا بامتنان قبل ان يجلس:«القهوة والخبز المحمص يبدوان رائعين.»

«انا آسف يا ستيفان.» وقف على الفور عندما رأى صراع الرجل الآخر ليبقى مسنوداً على العكازين والجلوس على الكرسي في نفس الوقت.

«هل استطيع ان اساعدك؟»

اعتبرت سينتيا ستيفان قادراً على الحركة من دون الإعتماد على العكازين منذ نصف ساعة مضت. وقررت أن تترك الرجلين يدبران امرهما وهرعت الى المطبخ في حين قام جيرالد بمساعدة ستيفان على الجلوس.

كانت المرة الأولى التي تختلي فيها بنفسها لإدراك جسامة ما حدث بينها وبين ستيفان هذا الصباح، وظهر إجهادها وهي تنحني بتثاقل على واحدة من وحدات المطبخ، غير قادرة حتى على التفكير بأخذ الفطور إليهما، عدا عن تحضيره فعلا!

تساءلت بغيرة غير معقولة وغير منطقية، لأن هذا

الصباح كان غير متوقع كلياً، ترى كم امرأة عرف ستيفان خلال السنوات السبع الماضية الى جانب باربرا طبعاً..

باربرا. دائماً تعول الى المرأة الأخرى. لماذا؟ آه، لماذا لم يتزوج باربرا ويدع النساء الاخريات؟ هذا لم يكن عدلا. هنا كانت المشكلة، اعترفت بحزن على نفسها.

سألها جيرالد:«هل تحتاجين مساعدة؟» وهو يقف وراءها عن قرب.

التفتت إليه وقالت:«لم أسمعك تدخل، شكراً. استطيع ان اتدبر الأمر وحدي.» اضافت بوهن، والابتسامة التي ظهرت على وجهها وصلت الى حدود عينيها:«ارجو ان تعود الى غرفة الجلوس وتنضم الى ستيفان... السيد ثورنتون.» استبدلت كلماتها بوهن عندما تذكرت العلاقة التي يفترض ان تكون بينها وبين ستيفان. قطب جبينه قائلا:«اعتقد أنه من الافضل ان ابقى هنا وأساعدك.»

كان على سينتيا ان تبتسم رغماً عنها ولكن؟ تكهنت بقسوة، وهي تحضر القهوة، فمن المحتمل ان يحتاجوا جميعا إلى شيء أقوى من النوع سهل التحضير قبل ان ينقضي الصباح!

قال جيرالد:«دعيني اقوم بذلك.» وأخذ امر تحضير القهوة ووضع الفناجين على الصينية بينما كانت سينتيا تضع الخبز لتحمصه.

لم تضغط عليه، ليس عليها ذلك، تستطيع ان تخمن

www.elromancia.com

اكثر او أقل. ما يمكن ان يقوله لهما وكان على حق، يستطيع ان ينتظر.

علق ستيفان بازدراء:«لم يكن لدي أي فكرة انك تحب المشاركة في الاعمال المنزلية.» عندما كان جيرالد يحمل الصينية الى غرفة الجلوس.

نظرت سينتيا إليه نظرة عتب وهي تحمل طاولة القهوة لتضعها امامه حتى يضع جيرالد الصينية عليها.

سألت سينتيا باستهزاء:«سكر؟» وهي تجلس لتسكب القهوة، فمزاجه سيتحسن بالمذاق الحلو!

لم تذهب محاولتها سدى، فقوس حاجبيه:«فقط سوداء مثل العادة، شكراً.» مثل العادة، لاحظت سينتيا، وتوتر فمها وحاولت ألا تلتقي بنظراته، وهي تناوله قهوته، لماذا تضيع وقتها بمحاولة التبارز معه لفظياً؟ فهي دائما تخسر!

«إذاً جيرالد.» استدار ناحية الآخر ما ان تناولوا فناجين القهوة والخبز المحمص:«ماذا عندك لتخبرني به وهو، كما يبدو، مهم الى درجة انك قدمت لرؤيتي هنا بدلاً من انتظار عودتي الى المدينة؟» اضاف قائلاً:«لا اذكر انك قد قلت انت اتيت لرؤيتي...» ونظر الى جيرالد بحاجبين مرفوعين بتساؤل.

اجاب جيرالد بفظاظة:«لن افعل، في الواقع اتيت لرؤية سينتيا لنفس السبب الذي قدمت انت من أجله، لأرى إذا كان هناك أي شيء تستطيع اخباري به فيما يتعلق باختفاء ريبيكا.»

استعلم برقة:«أفهم ذلك، وهل كان هناك؟»

عبس جيرالد من السؤال:«لم أحظ بفرصة سؤالها بعد.»

احست سينتيا بالأسف تجاه جيرالد. ولكن لم يكن بيدها حيلة وهي تعرف تماماً ان ستيفان مدفوع بأكثر من مجرد اختفاء ريبيكا، في هكذا ظروف، فكرت انه من الافضل لو انها تبقى خارج موضوع النقاش برمته!

لكن كان لستيفان افكار اخرى! دعاه بقسوة:«إذاً، هيا اسألها، لقد كان لدي انطباع بأنه بسبب بقائكما في المطبخ لمدة، انكما ناقشتما الموضوع.»

سارعت سينتيا الى الاجابة:«لقد كنا منشغلين بتحضير الطعام.» لقد بدأ يبدو كعاشق غيور:«اخشى انني لا استطيع ان اضيف أي شيء على ما سبق ان اخبرتك به عن ريبيكا.»

قال ستيفان برقة:«لا تستطيعين، او لا تريدين؟» ونظر إليها بتمعن.

اجابت بحدة:«لا استطيع.» ولم يكن في نيتها كسر ثقة ريبيكا فيها. ولكن في الوقت نفسه شعرت بالحرارة تصعد الى وجهها. وعرفت ان هذا سيجعلها تبدو مذنبة. لكن إذا كان افتراضها بخصوص جيرالد صحيحاً، فليس من حاجة لها للتورط في التفاصيل الغريبة لقرار ريبيكا بألا تتزوج من ستيفان. هذا إذا كان افتراضها صحيحاً.

قال جيرالد متنهداً:«عادل كفاية، ولكن عليك ان تعرفٍ يا ستيفان ان ريبيكا اتصلت بي هذا الصباح هاتفيا، يبدو انها عندما قررت الذهاب بعيداً لتفكر، لم تذهب بمفردها.» خرجت الكلمات الاخيرة مسرعة من فمه، كما لو أنه كان قلقاً لإنهاء هذا الامر خصوصاً وأنه قد بدأ فيه. اضاف بحزن:«أنا آسف يا ستيفان. ولكن يبد ان ريبيكا على علاقة بالشاب غلين رينولدز.»

غلين، إذا هذا هو اسم البستاني. يبدو الاسم لائقاً بشكله. كانت سينتيا تغوص في افكارها! ما يهم اسم الرجل؟ على الارجح انه ليس الجزء الذي يهم ستيفان.

لم تتحمل ان تنظر إليه، كانت هذه هي المرة الثانية التي تتخلى فيها خطيبته عنه، وفي كلتا المرتين، كما يبدو، الذهاب الى رجل آخر، ولكن، في حالة سينتيا لم يكن ذلك صحيحا حقا. وإنما هذه، مع ريبيكا، كان كذلك. كيف يمكن ان يفكر ستيفان؟

كان من الصعب قول ذلك من تعبير وجهه، ونظرة قلقة في عينيه وفمه مطبق جيدا. قال بهدوء:«ومن هو غلين رينولدز؟»

بدا جيرالد متضايقاً أكثر من أي وقت مضى. صرح على مضض:«الشاب الصغير الذي يعتني بحديقتي.» تجهم وجهه محرجاً وهو ينظر الى ستيفان بأسف بالغ.

نظرت سينتيا إليه محاولة ان تفسر ردة فعله على هذا

الموقف. مرة أخرى كان من الصعب ان تقول. فتعبيره كان غامضاً مع ان جسده كان متوتراً جداً. كادت سينتيا ان تشعر بالأسى تجاهه. لو لم تكن تعرف انه لا يزال يملك باربرا في حياته.

اسرع جيرالد يقول واهنا عندما لم يقم ستيفان بأي رد على كلامه:«لم يكن لدي فكرة يا ستيفان، لو كان لدي لكنت تدخلت.»

سأله مقطباً جبينه:«لماذا؟»

بدا جيرالد مشوشا:«لماذا؟» اضاف بذهول محركاً كتفيه بعدم ارتياح:«حسنا، لأن...»

استفزه ستيفان بنعومة:«نعم؟»

«حسنا... أنا... يا رجل، إنه البستاني!» فسر جيرالد بازدراء:«طبعاً كنت سأحاول ان اضع حداً لهذا. ماذا يمكن ان يكون لديهما هو وريبيكا من قواسم مشتركة؟»

لوى ستيفان فمه وتمتم بخبث:«غريب لم اتصور انك ارستقراطي، يا جيرالد.» تورد وجه الرجل الأكبر سنا:«الأمر لا دخل له بكوني ارستقراطيا، ولكن ريبيكا هي ابنتي الوحيدة، طبعا اريد الافضل لها!»

اومأ ستيفان برأسه:«ألهذا السبب شجعتها على الزواج مني؟»

دافع جيرالد عن نفسه:«طبعاً، هي لم تكن ضحية مكرهة، يا ستيفان!» عندما ادرك ان الرجل الآخر قد اوقعه في شرك الكلام. اضاف بسخط:«لطالما،

www.elromancia.com

اعجبت بك ريبيكا، انت تعرف ذلك، تباً. لقد ارادت الزواج منك!»

استمر ستيفان محدقاً به، وحاجباه مرتفعان. وقال بتجهم:«ارادت، يا جيرالد، فعل ماضٍ والآن، بما انه يحق للمرأة ان تغير رأيها لأي سبب كان، وطالما هي بخير مع هذا الشاب كما نفترض، لن يصيبها سوء، انا لا ارى...»

كرر جيرالد بازدراء:«لن يصيبها سوء! فهي تقيم، لا أدري أين، مع الشاب رينولدز، ولا تعتقد أنه قد يصيبها سوء!»

ارتفع صوت ستيفان من شدة الغضب:«جيرالد، ريبيكا تجاوزت الثامنة عشرة، وقد ذهبت معه برضاها. لا أرى أنه يمكن لأي منا ان يفعل أي شيء آخر.»

«لكن كنتما على وشك الزواج! إذا كنت تحب ريبيكا حقاً لمَ تخليت عنها بهذه السهولة؟» اتهمه ويداه متقلصتان الى جانبه.

هز ستيفان كتفيه:«انا أهتم بريبيكا كثيراً، وأنا أكيد أننا كنا نستطيع المشاركة بزواج لا بأس به، مبني على أساس الاهتمام المتبادل. ولكن انا بالتأكيد لن ألحق بها مثل صبي مغرم، إذا كان هذا هو قصدك. إذا كان رينولدز هو من تريد، فأنا اتمنى لها الخير.» وأنهى كلامه.

استمعت سينتيا الى الحديث المتبادل دون ان تشارك فيه. ماذا في استطاعتها قوله لتخفف من حدة التوتر

القائم الآن بينهما؟ ان تعرّف ستيفان إزاء خروج ريبيكا من حياته يذكرها بألم شديد بالطريقة التي تصرف بها منذ سبع سنوات عندما اخبرته انها لن تتزوج منه.

«حسنا، ربما لا تهتم بمنع ريبيكا من ارتكاب أكبر غلطة في حياتها، ولكن بالتأكيد أنا أفعل.»

قال ستيفان برقة:«انها ابنتك.»

قال جيرالد باتهام:«كانت خطيبتك! من الواضح انك لم تعد مهتما بما يحصل لريبيكا. و...» قطع كلامه فجأة، وارتسمت على وجهه علامات إدراك لما يجري حوله، عندما نظر اولا الى ستيفان وبعدها نظر الى سينتيا، وبدأ وجهها يلتهب من التعبير الذي رأته في نظراته، قبل ان يستدير الى ستيفان وابتسامة قد ارتسمت على فمه. قال ببطء:«كم كنت غبيا! ولكن ما مدى اصابة كاحلك يا ستيفان؟»

نظر الى الرجل الآخر بشك، ليرد عليه ستيفان الذي وقف دون مساعدة العكازين، واضعا ثقله على قدميه الاثنتين كما لو لم يكن هناك أي ورم في كاحله. تبا عليه!

«الى هذا الحد.» أدرك جيرالد كارهاً نفسه، والتفت لينظر الى سينتيا ويقول:«لقد فوجئت بك يا سينتيا.» ثم قال بخيبة أمل:«لا بل أنا مذهول هي الكلمة الملائمة لوصف ما اشعر الآن.» اضاف هازا رأسه بذهول:«لا استطيع ان أفهم شيئا من هذا.»

www.elromancia.com

سارعت سينتيا مؤكدة له:«ليس هناك من شيء غامض لتفهمه، ان ستيفان قد لوى كاحله حقيقة، ولو رأيته ليلة أمس لعرفت تماما لماذا لم أنقله الى المدينة.»

قال ستيفان:«والشيء نفسه يمكن ان يقال عن هذا الصباح، يا سينتيا.»

التفتت لتحدق به:«لم يكن هناك وقت لأنقلك الى أي مكان هذا الصباح، فمع زيارة روجر المبكرة، وبعدها... نعم؟» استفزها ستيفان بخبث عندما قطعت كلامها فجأة واحمر وجهها وهي تتذكر جيداً ماذا حصل بعدها. كم كرهته في تلك اللحظة. كان يحاول إهانتها امام جيرالد، ولكن لماذا؟ لأنه أراد ان ينقذ كرامته بعد ان رفضته ريبيكا!

قالت له:«تستطيع العودة مع جيرالد الى المدينة!»

احست بشعور عميق بالارتياح من فكرة أنه ليس عليها ان تقضي وقتاً أطول برفقته. تابعت:«انا أكيدة من ان هناك الكثير لتتكلما عنه، وليس هناك افضل من فرصة الذهاب الى لندن.» وبما ان الفكرة الآن اصبحت واقعاً، شعرت بالسعادة في أعماقها لضربة الذكاء التي قامت بها. طبعاً يستطيع ستيفان الذهاب الى المدينة برفقة جيرالد إنه الحل الأفضل.

لم يبد على ستيفان الارتياح، والتكشيرة الداكنة عادت الى وجهه الآن وعيناه تلمعان بخطر وهو يحدق بها بسبب اقتراحها. قال لها بحدة:«لا أنوي الذهاب الى المدينة الآن. فأنا اعتقد ان لدينا الكثير لنناقشه.»

لم تستطع سينتيا حتى النظر الى جيرالد وهو ما يزال يراقبهما بتمعن:«لقد سبق واخبرتك يا ستيفان، إذا غيرتما انت وريبيكا رأيكما بشأن زواجكما وقررتما المضي به بعد كل ما حدث، فأنا سأكون سعيدة بالمناقشة معكما في ما يختص بالترتيبات، وإلا، عملنا معاً قد انتهى.» نظرت إليه متحدية طالبة منه ان يذهب الآن. فهي بحاجة ماسة لأن تكون وحدها لتلملم بقايا كرامتها.

رد ستيفان برقة:«هل انت...؟» ونظراته القاسية تتمعنها من دون مسامحة وأردف جازماً:«ربما أنت على حق.» واستدار لينظر الى جيرالد:«هل تستطيع ان تنقلني الى شقتي؟» لم يكن هناك من شك ان جيرالد يستطيع، ولكن هل يريد؟ هذا هو السؤال. فبعد تعذيب ستيفان المقصود لسينتيا، فإن الرجل الآخر يشك بأنه قد حصل الكثير خلال عطلة الاسبوع هذه بينها وبين ستيفان. ونظراً لما كانت عليه علاقة ستيفان بابنة جيرالد حتى الأمس، فإن الرجل الأكبر سناً، له كل الحق ليشعر بالغضب لفكرة ما يكون قد جرى.

نظرت سينتيا الى جيرالد وهما في انتظار جوابه، وبدا لوم صامت في عينيها. عبس عندما رأى الاعتذار، ومن الواضح انه احتار من العلاقة التي تطورت ظاهرياً، في ليلة واحدة، بين خطيب ابنته والمرأة التي طلب منها المساعدة بشأن تلك الابنة بالذات للتحضير لحفل الزفاف.

www.elromancia.com

لكن من خلال نظرة واحدة استطاع سبر اعماق سينتيا.

استدار وأومأ لستيفان بالموافقة قائلاً:«ربما نستطيع استغلال الوقت بالكلام. إذا كنت مستعداً للذهاب الآن...؟»

اومأ ستيفان باقتضاب:«لا يبدو ان هناك أي سبب للبقاء. إذا كنت لا تمانع الانتظار في السيارة؟»

بدا جيرالد وكأنه يمانع كثيرا:«سأكون في الخارج.» قال بإيماءة مختصرة:«الى اللقاء يا سينتيا.» وبالكاد نظر في اتجاهها قبل ان يرحل. وأغلق الباب وراءه بقوة.

كان الصمت الذي ساد بعد رحيله متوتراً الى درجة ان سينتيا ارادت الصراخ، ويداها ملتويتان معاً امامها وهي تدفع نفسها لرفع رقبتها والنظر الى ستيفان.

حاولت سينتيا ان تدافع عن نفسها بالطريقة الوحيدة التي تعرفها وتزايد غضبها تجاهه بسبب العبارات التي قالها امام جيرالد:«لم تكن هناك ثمة حاجة لذلك.»

بدا ثابتاً ورد بقسوة:«لم تكن هناك...؟»

عبست فيه، لم يدافع عنها عندما اعطى جيرالد الانطباع بأن هناك علاقة بينهما، إلا انه جعل جيرالد ينفر منه ومنها. ادركت ذلك واتسعت عيناها غير مصدقة عندما عرفت ماذا حاول ان يفعل.

لم يصدقها عندما اخبرته ان لا شيء بينها وبين

جيرالد. او على الاقل إذا صدقها، فإنه الآن تأكد بأنه لن يكون هناك أي شيء بينهما. إنه مازال قادراً ان يفعل أي شيء مثل هذا حتى بعد...

قالت له بكدر:«اخرج يا ستيفان، فقط اخرج من هنا.»

قال بقسوة:«ليس قبل ان تجيبي عن سؤال واحد.» في ما يختص بسينتيا لم تعتقد انه كان في موقع من يشترط. ولكنها شعرت بالإعياء من محاولة الجدال معه، قالت:«ما هو؟» وتنهدت بتثاقل.

قال:«كنت تعلمين بأمر ريبيكا ورينولدز هذا، أليس كذلك؟» كان آخر ما توقعته منه هو هذا السؤال. حتى انها فوجئت، وعبست بوجهه وهو ينظر إليها مقطبا وجهه. بللت شفتيها، وبلعت لعابها بصعوبة عندما رأت الغضب يلمع في عينيه الذهبيتين:«أنا...»

«علمت.» قال باستهجان عندما رأى الشعور بالذنب على وجهها، ويداها متقلصتان الى جانبيها.

ردت مدافعة عن نفسها:«نعم، علمت ان هناك احداً ما. لم أعلم لا اسمه ولا أي شيء آخر، ولكنني علمت أنه يعمل عند جيرالد.»

توتر فم ستيفان:«ومع ذلك عندما قدمت الى هنا أمس وسألتك إذا كانت ريبيكا قد اخبرتك بأي شيء آخر خلال مكالمتها الهاتفية لك، قلت انك لا تعرفين شيئاً. لا!»

هزت سينتيا رأسها، والتقت نظراتهما بتحدٍ:«قلت

انني اخبرتك بكل ما طلبت مني قوله.»
«لكن ليس كل شيء تعلمينه.» ادرك ستيفان مزدرياً نفسه والابتسامة الملتوية على شفتيه لا تدعو للارتياح.
«حسنا، الآن كلنا يعلم، وأنا أعلم أي نوع من النساء انت يا سينتيا.»
بلعت سينتيا ريقها مرتجفة:«وأي نوع من النساء، انا يا ستيفان؟» استفزته باشمئزاز ورهبة ولكن مع ذلك احتاجت لأن تعرف الجواب..
نظر اليها ببرودة وقال:«إمرأة من النوع الذي شعرت بمرارة وقسوة لما حدث بيننا منذ سبع سنوات وأنها...»
عارضته سينتيا:«هذا ليس صحيحاً!»
«انت تفعلين أي شيء لتعودي إليّ!» انهى ستيفان بقسوة، وكل عضلات وشرايين جسده متوترة بغضب:«أهذا ما كان الأمر عليه.. هل أردت ان ترمي بوجهي كل الضعف الذي احمله تجاهك؟ من المؤسف ان جيرالد وصل وأفسد اللحظة عليك.»
نظرت إليه سينتيا غير مصدقة. لا يمكن حقاً ان يصدق ما يقوله. ولكنها تستطيع ان ترى من خلال مرارة التواء فمه ما يعني، واستدارت بعيداً لكي لا يرى الدموع المتجمعة في عينيها. «فكر كما تشاء... يا ستيفان. ولكن اتركني وحدي.»
أكد لها بقسوة:«آه انا أنوي ذلك وسوف ابعث بأحد

ما ليقود سيارتي لذا لا تقلقي من احتمال ان نلتقي من جديد. لقد تدبّرنا أمرنا لئلا نفعل ذلك لمدة سبع سنوات، لا أرى مانعاً في ان نستمر بذلك.»
انتظرت سينتيا حتى سمعت صوت الباب يغلق خلفه. إذاً، فهو قد تركها قبل ان تسمح لآهاتها بأن تفتت جسدها. دفنت وجهها بين يديها وهي تبكي وأحست بغصة في قلبها. وكان كذلك...

www.elromancia.com

الفصل العاشر

قالت للفتاة الأخرى بحدة:«كلا، يا ريبيكا، حقاً، انا لا استطيع.» وهما تجلسان حول مائدة الغداء.
اتصلت ريبيكا بالوكالة هذا الصباح بالذات لتطلب من سينتيا موافاتها الى المدينة لتناول الغداء لأن لديها شيئاً مهماً تريد مناقشته معها، متوقعة بغطرستها كصبية ان لا شيء أفضل لدى سينتيا من الذهاب الى المدينة لمقابلتها.
وكان لدى سينتيا العديد من الاعمال لإبقائها مشغولة. فتحضيرات الأفراح كانت تتجمع بزخم الآن، كما اعتقدت. ولكن نظراً لعلاقتهما القديمة، لم تشعر سينتيا ان في استطاعتها ان ترفض طلب ريبيكا، مع انها في هذه اللحظة تمنّت لو انها فعلت. لقد مضى أكثر من شهر على قدوم الرجل الذي ارسله ليأخذ السيارة وامتعته الأخرى. وباقة الورد التي تلقتها من ريبيكا والبطاقة المرفقة بها التي تحمل رسالة بسيطة:«شكراً لكل مساعدتك وتفهمك.» ولم تسمع اكثر من ذلك من عائلة هاركورت او ستيفان...
لم تتوقع ان يكون أول اتصال لها بهم من جديد بعد كل ذلك الوقت من ريبيكا، تسألها مرة اخرى المساعدة في تحضير ترتيبات الزفاف! لم تستطع سينتيا ان تتخيل ما جرى خلال الشهر الماضي، ولكن ريبيكا

كانت تشع بالسعادة، ولا تظهر أياً من تلك الشكوك التي كانت واضحة على سلوكها منذ شهر. وهي الشكوك نفسها التي جعلتها تهرب بدلاً من ان تمضي قدماً في الزواج من ستيفان. يبدو ان كل شيء قد اصطلح مرة أخرى، وريبيكا ارادت ان تعيد توظيف سينتيا لتحضير كل الترتيبات.
سألتها سينتيا بعبوس:«هل يعلم والدك انك تتكلمين معي بخصوص هذا الموضوع؟»
بالتأكيد جيرالد لن يكون سعيداً بخصوص هذا الأمر، بعد الانطباع الذي اعطاه ستيفان ذلك الصباح في منزلها.
اجابت ريبيكا بسعادة:«طبعاً، عندما أخبرته انني سأتصل بوكالتك، كانت كلماته الحرفية: لا اهتم بمن تتصلين، طالما انك ستمضين في هذا الزواج هذه المرة. وكأنني لن أفعل.» وابتسمت حالمة.
نظرت إليها سينتيا بتمعن.
لم يكن هناك شك بالاختلاف الحاصل لريبيكا الآن. والسعادة تشع منها، ولكن هل هي حقيقة تستطيع ان تكون متأكدة من انها تفعل الأمر الصحيح هذه المرة؟
لم يكن هناك من مجال ابداً امام سينتيا لتطلع الفتاة على ما جرى بينها وبين ستيفان منذ شهر، هذا الى جانب ما حصل منذ سبع سنوات، وكانت هناك باربرا تحوم في ماضي حياته، مثل غيمة داكنة تحجب نور الشمس والسعادة.

سألت سينتيا قاطبة:«هل انت متأكدة هذه المرة حقاً؟»
اجابت الفتاة من دون تردد:«تماماً.»
«ووالف ووالدك... في آخر مرة رأيتهما، لم يكونا على وفاق تام.» وجفلت سينتيا من ذكرى تلك المحادثة.
اجابت ريبيكا بهزة من كتفيها:«آه، هما بخير الآن، انها الاعمال فقط. ان ستيفان سامحني على التصرف الغبي الذي قمت به.»
من الواضح، ان سينتيا انقبضت من الداخل. ولكن هل ستسامحه ريبيكا إذا اكتشفت ما حدث في عطلة نهاية الاسبوع التي ذهبت فيها بعيداً لتفكر.
اكملت ريبيكا بخفة:«كثيراً ما ارى ستيفان، حتى انه وافق... ان يكون شاهداً في زفافنا.»
نظرت اليها غير قادرة على الاستيعاب:«اتقصدين غلين هو العريس...؟»
تابعت ريبيكا بسرور:«هذه كانت فكرتي.» غير منتبهة لتعبير الذهول على وجه سينتيا:«لقد اعتقدت انها ستكون تحية لطيفة، باعتبار أنه كان متفهماً فسخ خطوبتنا. اعتقد غلين ان ستيفان سوف يعاقبه، لكنني اكدت له ان ستيفان رجل شهم لن يفعل ذلك. وكنت على حق.» قطبت حاجبيها وعيناها الزرقاوان تلمعان:«قال ستيفان انه سيكون سعيداً لكونه الشاهد إذا لم يكن العريس. هل رأيت كم انه رجل شهم.» وضحكت ريبيكا بخفة!
إنه غلين الذي تنوي الزواج منه، إذاً؟ وليس ستيفان؟

ولكن سينتيا رأت ان هنا مكمن المشكلة. اعتقدت ذلك، وكان اعتقادها خاطئاً!
فوجئت من نفسها عندما شعرت بالارتياح يغمرها لعلمها ان ستيفان لن يكون زوج ريبيكا في نهاية المطاف وليس عليها الآن ان تهتم بما سيفعله ستيفان بعد الآن، ولكنها...
حاولت ان تقنع نفسها خلال الشهر الماضي بأنها لن تهتم لأمر ستيفان بعد الآن، وكادت ان تعتقد انها نجحت الى ان اخبرتها ريبيكا ان الزفاف المخطط لشهر آب - اغسطس قد عاد الى الواجهة. والألم من هاجسها بأن ستيفان على وشك الزواج قد قطعها كما تقطع السكين، وأوجعها في صدرها. والآن هي تعلم ان ستيفان ليس هو العريس المعني.
لم يكن عليها ان تشعر بمثل هذه السعادة حيال ذلك، وما يفعله ستيفان في حياته لا يهمها. لكن! كم تمنت لو أنه لا يهمها فعلاً!
حقيقة ان ستيفان لن يكون العريس، فان الأمر لم يعط أي اختلاف في الجواب الذي سوف تعطيه لريبيكا. ستيفان سيكون الشاهد في العرس. ولم يكن هناك من مجال لتجنب رؤيته مرة أخرى في آب- اغسطس او أي وقت آخر... «هل والدك موافق على غلين الآن؟» قطبت جبينها وهي تتذكر مشاعر جيرالد في آخر مرة تكلمت معه بخصوص فكرة تورط ريبيكا مع البستاني.
تجهمت ريبيكا بتعاطف:«هو كذلك الآن.» مظهرة

www.elromancia.com

لسينتيا ان إقناع والدها بصوابية اختيارها لغلين لم يكن سهلا كما تمنت.

«لقد قدم قرضاً لغلين. وهكذا يستطيع الانطلاق بأعمال زراعية في أرضه. طالما ان الأمر هو قرض فذلك مقبول. فلغلين كبرياؤه وخصوصاً عندما يتعلق الأمر بمال أبي. فهذا الذي اتعبني لاقناع غلين بأن يراعي مصلحتنا نحن الاثنين في المقام الأول.»

استقامت سينتيا في مقعدها وأخبرت الفتاة وهي تشعر بالسعادة من أجلها:«انا سعيدة لأن الأمور تحسنت بالنسبة لك ريبيكا... ولكن؟» تجهمت ريبيكا عندما أحست بما سوف يلي ذلك. ابتسمت سينتيا قائلة:«لقد حذرتك في البداية.» وهزت كتفيها:«اخشى ان الاعمال قد زادت خلال الشهر الماضي. ولن استطيع ترتيب حفلة زواج اخرى حتى آخر الشهر.»

شرحت بخفة شاكرة لكونها استطاعت قول الحقيقة. ولكن لو ضغطت ريبيكا عليها اكثر، لكانت استطاعت حتما.

التعاقد بزفاف آخر، ربما. ولكن ليس ذلك الزفاف الذي سوف يقودها الى أي مكانٍ تحتك فيه مع ستيفان.

بدت ريبيكا خائبة الأمل. «إذا ربما علينا تأجيله لأيلول – سبتمبر.»

اثارتها بخفة:«ولكن كيف تعتقدين ان غلين سيشعر حيال ذلك، هل يحتمل ان ينتظر؟»

ضحكت ريبيكا:«انا من أصرتّ على الزواج المبكر.

فأنا لا اريد ان اعطيه وقتاً ليغيّر رأيه.»

ذكرتها سينتيا:«حسنا فعلت.» قلق جيرالد من ان ذلك قد يحصل من جديد. مع انها لا تعتقد ذلك، فمن الواضح ان ريبيكا مفعمة بالسعادة لمجرد فكرة الزواج من غلين.

تجهمت ريبيكا:«اسبابي للهرب من الزفاف مع ستيفان مختلفة تماما.»

قالت بخفة:«حسناً بما ان الأمور قد سوّيت الآن، انا مسرورة جداً لأجلك يا ريبيكا وأتمنى لك ولغلين كل السعادة معا. انا فقط آسفة لعدم استطاعتي المساعدة في الترتيبات.» هل ستسامح على هذه الكذبة! كانت تستطيع اختلاق أي عذر كي لا تتورط بأي شيءٍ يمكن ان يقربها من ستيفان إذا لم تملك عذراً كافياً صحيحا.

ردت ريبيكا بحرارة:«وأنا ايضاً لديّ الكثير لأشكرك عليه، لو لم تعطني النصيحة لما كنت ملكت الشجاعة لأخبر أبي وستيفان بأنني لا أريد الاستمرار بالزواج.»

تجهمت سينتيا قائلة:«لا تخبري ستيفان بذلك.»

ضحكت الفتاة الاخرى بصوت ابح:«إنه رائع. اليس كذلك؟»

وبدا صوت سينتيا عادياً عندما سألتها:«كيف حال كاحله الآن، افضل؟»

اومأت ريبيكا:«تماماً. مع أنه يعمل بجهد كبير من

www.elromancia.com

جديد. ربما أنا لا أحبه كفاية لكي اتزوجه، ولكنني لا أزال اهتم لأمره. فهو ليس سعيداً.»

برأي سينتيا انه يستطيع الاعتناء بنفسه، وتعاطف ريبيكا تجاهه لم يكن له داع ابداً. «فهو قد خسر خطيبته.» ذكرت الفتاة الاخرى بجفاء. عبست ريبيكا قائلة:«ستيفان لم يكن يحبني أكثر مما كنت احبه. فقد قرر فقط أنه لم يعد شاباً وأن الآوان لكي يتزوج ويؤمن وريثاً للعائلة، طبعاً.»

تمتمت سينتيا بضعف:«رومانسي جداً!»

«آه، ليس كما يبدو عليه الأمر.» وابتسمت ريبيكا لتعبير سينتيا المزدري:«فشقيقه أليكس توفي في حادث تحطم طائرة منذ عدة سنوات وزوجته لم تكن تستطيع الانجاب. ولهذا، اعتقد أن ستيفان شعر بأنه مضطر لإنجاب الوريث.»

الآن ادركت سينتيا سبب عدم زواجهما. وأخيراً حصلت سينتيا على الجواب الذي اعاد إليها الخوف من ستيفان الآن اكثر من أي وقت مضى...

* * *

كان ستيفان قد قال مزدرياً نفسه:«لن اضرب رأسي للمرة الثانية.» وهو يحني رأسه ليتفادى السقف المنخفض وهو يدخل منزلها.

نظرت إليه سينتيا بذهول، كان آخر شخص تتوقع رؤيته واقفاً على عتبة بابها عندما ذهبت

لتردّ على الدقات المتتالية على باب منزلها. لم يكن قد مضى وقت طويل على عودتها من العمل، وكانت تحضر بعض الطعام لنفسها. ولكنها تعرف انها لن تشعر برغبة في الطعام بعد رحيل ستيفان! ماذا يفعل هنا؟ لم تكن مجرد صدفة، لقد اتى لرؤيتها في نفس اليوم الذي تناولت فيه الغداء مع ريبيكا. ماذا حدث الآن ليجعله يأتي. عندما التقيا في آخر مرة جعل الأمر يبدو واضحاً أنه لا يريد رؤيتها من جديد.

شعرت بنفسها تتوتر وهي تنظر إليه عبر الغرفة.

استدار ستيفان عندما وصل الى حيث المدفأة ورفع أحد حاجبيه بخبث، بينما كانت لا تزال متوقفة قرب الباب وإحدى يديها تمسك بمقبض الباب جيدا.

كان لا يزال يرتدي ملابس العمل، وهي إحدى البذلات القبيحة التي تكرهها سينتيا عليه. وريبيكا كانت على حق. بدا حقاً وكأنه يعمل بجهد شديد ووجهه متعب وقاس، وبدا كأنه قد خسر بعض الوزن منذ آخر مرة رأته فيها سينتيا.

ماذا يهمها ان كان يعمل بجهد أم لا؟ أنّبت سينتيا نفسها بحدة. ماذا يفعل هنا؟

قال باستغراب تشوبه خفة:«اخبرتني ريبيكا انكما تناولتما الغداء معا اليوم.»

لم تكن لتخدع للحظة بمقدمته العادية. ناظرة إليه بتشكك وأومأت بجفاء:«نعم.»

قال بازدراء لقلقها الواضح:«قالت انك مشغولة

في شهرب آب - اغسطس حتى انك لا تستطيعين مساعدتها في ترتيبات زفافها.»

قالت سينتيا:«هذا صحيح.» وبدأ توترها يجعل رقبتها تؤلمها:«وإذا كانت هذه زيارة عمل فساعات العمل في وكالتي تبدأ من التاسعة حتى...»

قاطعها ستيفان برقة:«انها ليست زيارة عمل، يا سينتيا.»

إذاً ما هي؟ ليست زيارة اجتماعية، بالتأكيد! فهما لم يستطيعا التورط بهذه الأنواع!

اكمل بصوت أجش:«قالت ريبيكا انك سألت عني اليوم.»

صححت سينتيا:«عن صحتك.» وأحست بالحرارة تغطي وجهها من الغيظ. جعل الأمر يبدو كما لو أنها سألت ريبيكا عن خصوصياته الحميمة:«كاحلك لاكون دقيقة.»

«إنه بخير الآن، شكراً.»

«ستيفان.»

قاطعها بسهولة خلال سخطها:«عندما ارسلت امتعتي بعد تلك العطلة وجدت ان بعض الأغراض مفقودة.»

كانت نظرته محكمة على وجهها الذي هرب اللون منه، تاركاً إياها تبدو شاحبة ومهمومة أكثر من أي وقت مضى! اغراض مفقودة...؟

رددت ببطء وهي تحاول كسب الوقت، والاعياء في معدتها يزداد:«أه تعني اغراض الرسم خاصتك؟»

حاولت ان تبدو لا مبالية:«لقد تصرّفت بعصبية بسبب إحضاري لها ولم اتصوّر انك تريد استعادتها.» هزت كتفيها بخفة غير قادرة على النظر إليه.

لم يكن عليها ان تبقي هذه الأغراض. ادركت ذلك على الفور، ومع ذلك كانت ستندم لتركها اياها. فهي كانت لستيفان الذي عرفته وأحبته، ستيفان الذي لم يعد موجوداً كما يبدو. ولكن لم يكن عليها التعلق بهذه الاشياء التي اعادت ستيفان الى حياتها مرة أخرى، مع أنه استغرق اكثر من شهر ليقرر العودة إليها...؟

التقطت نظراتها بنظراته ورأسها مائل الى الوراء وشعرها الحريري الأشقر ينساب على كتفيها وسألته بفظاظة:«لماذا لم تعد ترسم يا ستيفان؟»

قال بقسوة:«للسبب نفسه الذي ادير صناعات آل ثورنتون من أجله الآن.»

قالت غير مصدقة:«المال؟» لم تكن تستطيع ان تصدق حقاً ان عائلة ثورنتون بحاجة لمزيد من المال!

قاطعها قائلاً:«طبعاً لا...! لم يكن المال ابداً مهماً بالنسبة إلي، انت تعرفين ذلك.»

عبست سينتيا:«إذا كان غير مهم بالنسبة إليك، لماذا إذاً تمضي كل يوم، طيلة النهار في العمل لتجني منه أكثر؟» صمتت لحظة ثم اضافت بنفاد صبر:«نحن ندور في حلقة مفرغة هنا يا ستيفان.»

«لقد قلت لي ذات مرة ما هو السبب تماماً، يا سينتيا، إنه الشعور بالذنب، وذلك السبب لم يتغيّر.» أخذ نفساً

www.elromancia.com

عميقاً وتابع:«انا أكره إدارة صناعات آل ثورنتون، لطالما كنت كذلك، وسأظل كذلك.»

تأملت تلك النار المتقدة في عينيه، وتعبيره القاسي، وجسده المتشنّج، كل هذا كان يشير الى كرهه لكل القيود التي تكبّله؟ بسبب علاقته بزوجة أليكس؟ هذا مريع حقاً، بالطبع لم يكن هناك سبب ليعيش كذبة، ليزيل من حياته اشياء مثل السعادة والضحك وليقوم بالعمل الذي يستمتع به أكثر بإنه ملزم على القيام به، لأن هذا ما كان يعنيه الرسم بالنسبة إليه في الماضي.

سألها بنفاد صبر:«لماذا تنظرين إليّ هكذا يا سينتيا؟ لقد فسخت خطوبتنا للسبب نفسه منذ سبع سنوات!»

«سبع سنوات يا ستيفان وقت طويل لك لتغيّر الاشياء، لو أردت ذلك.»

هز رأسه عابساً:«لم استطع استرجاع أليكس.»

قالت سينتيا بازدراء وهي تتنفس بصعوبة من شدة غضبها:«كان في إمكانك إنهاء علاقتك بزوجته.»

اصبح ستيفان هادئاً كثيراً، وحدق بها قائلاً:«ماذا قلت؟»

هزت رأسها:«كان في إمكانك تغيير حياتك في أي وقت تريده، بدلا من ان تحاول إعادة التاريخ نفسه، وتجلب ضحية بريئة اخرى الى خضم المعاناة التي سببتها انت وباربرا في حياتكما. من حسن حظ ريبيكا انها

أرادت من حياتها اكثر مما تستطيع انت ان تمنحها إياه كما هو واضح، ولو أنها لا تعرف بعلاقتك مع باربرا، فهي على الأقل تعرف ما فيه الكفاية لتدرك ان زواجكما لن ينجح. فيا له من فرار محظوظ قمنا به انا وريبيكا.»

وقف ستيفان وكأنه نحت من صخر، لا يتحرك ولا يرمش له جفن، فقط يحدق بسينتيا وكأنه لم يرها من قبل.

كان صدر سينتيا يعلو ويهبط من التأثر، وكل لحظة تمر تزيد من غضبها، كيف يجرؤ على القدوم الى هنا حتى ينبش كل هذا من جديد؟ فهو لم يحل أي شيء. فقط أعاد كل الألم والمرارة. عندما كانت هي في حاجة ماسة لتبدأ حياتها...

اخذ ستيفان نفساً عميقاً، بدا وكأنه يبحث عن الكلمات المناسبة وقال: «سينتيا...»

قاطعته ببرودة:«لا أدري لماذا اتيت الى هنا يا ستيفان؟ ولكنني اتمنى ان ترحل من جديد وتدعني على الأقل اعيش حياتي بهدوء.»

«سينتيا، منذ سبع سنوات فسخت خطوبتنا بافتراض ما فعلته لأليكس.» تجاهل غضبها وهو يختار كلماته بعناية، ولمع نور جديد غريب في عينيه:«وأيضاً ظننت انك ادركت ان كولينز هو من تحبين.»

«لقد احببت روجر دائما إذ كان العائلة والأخ اللذين لم أحظ بهما مطلقا.»

www.elromancia.com

ازدرد ستيفان لعابه متشنجاً وبتوتر:«وهذا ما كان عليه دائما بالنسبة لك.» ولمعت عيناه بحدة.

قالت بنفاد صبر:«هذا ما كان عليه الأمر دائماً وكل ما يمكن ان يكونه.» فهي لم تحب احدا غير ستيفان ولن تحب غيره ابدا.

بلع ستيفان ريقه من جديد وقال ببطء:«واليكس، كيف تعتقدين أنني اذنبت بحقه منذ سبع سنوات؟»

قالت باحتقار:«انا لا اعتقد، لقد كنت مذنبا بشيء ما، انا عرفت...»

أصرّ أكثر:«عرفت ماذا؟»

«ستيفان، ذهبت الى الشقة تلك الليلة، وتكلمت مع باربرا. في الحقيقة لم أكن في حاجة الى ذلك.» اضافت بمرارة:«فحقيقة انها كانت في انتظارك مرتدية فقط قميص نوم كان يكفي لإفهام أي كان ما المقصود به! مع العلم أنني لم أفهم في البداية، فقد كان على باربرا ان تقولها لي بصراحة قبل ان ادرك تماما لماذا هي هناك. حتى في ذلك الوقت لم استطع تقبل حقيقة ما يحصل وفي نفس اليوم الذي قتل فيه زوجها، اخوك.»

رد بجفاء:«باربرا قالت لك ذلك؟»

«آه، نعم! لقد اخبرتني كل شيء عن العلاقة المستمرة بينكما منذ عدة سنوات، وكيف ان أليكس أصبح متشككا بكما، ولهذا تورطت معي أكثر من أي واحدة من عارضاتك الأخريات.»

قال ستيفان ببطء:«لأبعد الشكوك عني وعن باربرا؟»

«طبعا، عادة تقيم علاقات عابرة فقط مع عارضاتك، ولكن هذه المرة احتجت لبعض التمويه عنك وعن زوجة أخيك، ولهذا تورطت في الخطوبة. لا أتصوّر انك نويت الزواج مني ابدا.» هزت رأسها بأسى على غبائها لمجرد التفكير بأن شيئا مثل هذا قد حصل... «فليس هناك من عائلة او أقارب للتخفيف من وقع الأمر عليها او تفضي لهم بمشاعرها، مجرد يتيمة سهلة تستطيع التخلص منها بمجرد ان تخف شكوك أليكس حولك وحول باربرا.»

انتفض ستيفان:«انت مخطئة يا سينتيا...»

«كل ذلك الكلام عن زواجنا التقليدي.» اكملت بصوت متألم:«الفستان الابيض الواسع والكعكة المزينة بالكريما، وعربة تجرها الخيول لنقل العروسين الى حفل الزفاف.» احست سينتيا بالدموع تتجمع في مقلتيها وهي تردد الكلمات التي جرحها بها ستيفان في ذلك اليوم الذي التقيا فيه من جديد في منزل آل هاركورت. لقد كان يعلم تماما ما يقول في ذلك اليوم، وكيف يجرحها تماما. فلم ينس قط ايا من الكلمات التي قالتها له والتي تتعلق بزفافهما.

صاح ستيفان:«انا لا اصدق ذلك.» كانت يده تهتز قليلا عندما أزاح شعره بعيدا عن وجهه، وجه شاحب الى درجة أنه بدا رماديا. وتابع يقول:«سينتيا، انا لا أهتم بما قالته لك باربرا تلك الليلة او أي ليلة اخرى،

كانت في شقتي تلك الليلة لأنني كنت في المستشفى مع أمي، لقد تلقت صدمة شديدة، بموت أليكس. وادّعت باربرا انها لا تريد ان تكون وحدها في منزلها تلك الليلة.» هزّ رأسه قليلا بذهول:«لا استطيع ان اصدق أننا كنا نتكلم عن شيئين مختلفين تماما تلك الليلة، ولم يكن هناك من داع لتلك السنوات السبع الضائعة...»

جلس فجأة وكأن رجليه لا تقويان على حمله.

الآن كان دور سينتيا لتحدّق به ولتحاول ان تفهم ذلك. لقد حصلت لأمه صدمة شديدة تلك الليلة، بطريقة ما اعتقدت ان ذلك حدث بعد وفاة اليكس ولكن ليس في نفس اليوم الذي مات فيه. لم يكن لديها أي فكرة بأن هذا ما عناه ستيفان ذلك اليوم عندما اخبرها ان أمه انهارت.

لم يكن يعلم من يساعد اولاً، أمه المريضة جسديا أم أرملة اخيه!

لكن ماذا عن الأقوال التي ذكرتها باربرا تلك الليلة؟ ذكرته بقوة:«لقد اعترفت بذنبك يا ستيفان.» مقررة ان لا تظهر أي علامة تدل على ضعف وإلا سوف تضيع من جديد.

عارضها بقوة:«ولكنني لم اقصد باربرا.» ووقف على قدميه من جديد وتحرك عبر الغرفة نحوها:«انا من كان يجب ان يكون في المروحية. يا سينتيا، انا الذي كان مفترضا ان يموت.»

عبست مدققة في قسمات وجهه ولم تفهم، احتضن

ستيفان كتفيها وأصابعه تشدّ عليها بقوة وهو يهزها:«انا من كان يجب ان يقوم برحلة العمل يا سينتيا.»

«ولكن...»

«أنا الإبن الأكبر يا سينتيا.» وهزها من جديد:«ألا تفهمين؟»

فجأة فهمت. لقد اعتقدت أليكس دائماً الابن الأكبر، وان ستيفان هو الأصغر. ولذلك سمح له بمتابعة المهنة التي اختارها. ولكن إذا كان ستيفان هو الاكبر.فهو الذي كان من المتوقع ان يأخذ مكان أبيه في صناعات آل ثورنتون. ولكنه رفض لأنه أراد احتراف الرسم، وهكذا لم يترك لأليكس أي خيار إلا ان يرتدي الثوب الذي رفضه أخوه ستيفان!

هزت رأسها والدموع تملأ عينيها من جديد، ولكن هذه المرة كانت الدموع من أجل ستيفان، لأجل الذنب الذي شعر به طوال سبع سنوات، لأنه أحس ان رحلة العمل تلك هو من كان يجب ان يقوم بها، وهو من كان يجب ان يموت، وليس أليكس.

قالت بصوت متألم:«انت مخطىء، فأليكس كان يتمتع بكونه رئيس صناعات آل ثورنتون. فهو كان سيبقى في الشركة حتى لو أردت ان تأخذ مكان الرئاسة بعد وفاة والدك. أليكس كان رجل أعمال بكل ما في الكلمة من معنى. وكان يتمتع بهذا.» تابعت من دون أدنى شك:«ستيفان، أنا اعتقد انه لو كنت أو لم تكن في

www.elromancia.com

الشركة، فلا يغير ذلك شيئاً. انا اؤمن بأنه عندما يحين وقت موتك، فهو يحصل ان في حادث تحطم طائرة او حادث سيارة او أسباب طبيعية بسيطة. منذ سبع سنوات كان أجل أليكس، يا ستيفان.» ثم اضافت بحتمية:«وما من شيء تستطيعه او تفعله يمكن ان يغيّر شيئاً من هذا الأمر.»

اغمض عينيه متمايلاً بخفة:«لمَ لم تقولي كل هذه الاشياء منذ سبع سنوات؟» تأوه بوهن ناظراً إليها من جديد:«لماذا؟»

لأنها منذ سبع سنوات صدّقت ما قالته باربرا ولم تعد الآن تصدقها، هي أكيدة من ان العلاقة كانت مجرد امنية في فكر باربرا.

لقد لعبت على قلة الثقة لدى سينتيا، وعدم اطمئنانها الى ان رجل مثل ستيفان من المحتمل ان يحب فتاة مثلها. لم تعد لديها الآن نفس اسباب قلة الثقة ولكن، كما قال ستيفان ان سبع سنوات مدة طويلة...

نظرت إليه بعينين دامعتين:«لا تعرف كم تمنّيت ان افعل. آه يا ستيفان كم كنا غبيين.» لم تكن مسؤوليتها وحدها.

كان عليه تحمّل جزء منها، فتعذيبه لنفسه بسبب أليكس لم يكن ضرورياً البتة. وشعرت انها في حاجة لأن يؤكد لها انهما اخيراً سيكونان معاً، شعرت أنه سيكون لديها هذا الشعور لوقت طويل.

تأوه قبل ان يحملها بين ذراعيه الى الكنبة. نظرت إليه

بحنان:«بعد ذلك، هل هذا يعني أننا مخطوبان لبعضنا البعض من جديد؟»

قال ستيفان بحدة:«كلا. لا يعني هذا.» ونبرة صوته لم تدع مجالاً للجدال. تابع:«لقد اكتفيت من الخطوبات. هذه المرة لن اعطيك فرصة لتغيري رأيك. سوف نتزوج فوراً.»

داعبت شعره بأصابعها:«ريبيكا قالت انك اردت الزواج فقط لكي تؤمن وريثاً للعائلة.» قالتها مستفزة،ولكن نظراتها كانت مركزة بفضول على وجهه الجميل المسترخي.

اعترف بحنان:«انا لست هارباً من الحقيقة، في حالة ريبيكا، نعم، هذا كان صحيحاً. ولكن فيما يخصنا، انا اريدك انت فقط، ولا اهتم ان لم ننجب اطفالاً.»

كان كل ما يهمه، هو التعويض عن السنوات السبع التي افترقا فيها عن بعضهما. ونظر إليها نظرة حالمة، وأكد لها بصوت متأثر:«انا احبك يا سينتيا، وسأحبك الى الأبد.»

لن تشك في ذلك ابداً من جديد، وعرفت بعد هذه السنوات، كيف تتعامل مع أي معضلة قد تضعها كلودياً او باربرا في طريق سعادتها. وباربرا لا تشكل تهديداً لها ولم تكن قط.

اجابها:«بالتأكيد، سأعود الى الرسم مجدداً، بعد عودة الحب الى قلبي.»

بعد تلك اللحظات وجدت سينتيا صعوبة في التفكير،

www.elromancia.com

بعدما نظر إليها مطولاً، نظرة حنان وحب وشوق. هذا ما كانت لهما، وما سيكون معهما دائما، إلتزامهما بالحب العميق لبعضهما.

تمت

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة